كلمة العدد

# الحصن الذي يحمي المسار والمصير

## بقلم سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

من المعادلات الصعبة التي يعرفها الاقتصاد السياسي أن تتحقق التنمية ويتحقق التطور رغم محدودية الموارد . . هذه المعادلة الصعبة استطاعت البحرين أن تحققها ببراعة ملفتة وبنجاح أصبح يطلق عليه في المحافل الدولية عنوان النموذج البحريني . . ولم تستطع البحرين أن تحقق هذا النموذج بمجرد التمني أو بالسحر أو بالمعجزة . . فقد انتهى زمن المعجزات . . وإنما استطاعت أن تحقق ما حققته بسياسة واعية وعمل دءوب وبتواصل استمر سنوات إثر سنوات وبقيادة رشيدة وحكيمة وواعية تمكنت من قيادة السفينة وسط العواصف والأنواء . . وكان الأساس الراسخ الذي اعتمدت عليه هذه القيادة هو وحدة الصف إدراكاً منها أن وحدة الصف والأمن والاستقرار هي أجنحة التنمية وهي عمادها وأساسها الراسخ والمتين .

عندما جاء الفتح الإسلامي أصبحت البحرين نقطة الانطلاق نحو الغرب وأصبح أبناء البحرين كتائب متراصة خلف قادة الفتح لم تفرقهم الأطياف والألوان ولم تمزقهم العصبيات والنعرات وإنما أصبحوا كتائب قوية كالبنيان المرصوص ودرعاً تحمي كتائب الفتح التي انطلقت من نصر إلى نصر .

وفي القرن السادس عشر الميلادي عندما كانت البرتغال قوة دولية تسيطر على كل الخليج، تصدى لها الجبور بقيادة مجرن بن أجود بن زامل الجبري واستطاع البرتغاليون تحطيم التحصينات التي أقامها مجرن أمام سواحل البحرين بضربها من البحر بمدافع سفنهم الحربية وبالاشتراك مع جنود حاكم هرمز واستولوا على جزر البحرين واستطاعوا أن يبنوا قلعتهم المعروفة في البحرين بقلعة البرتغال .

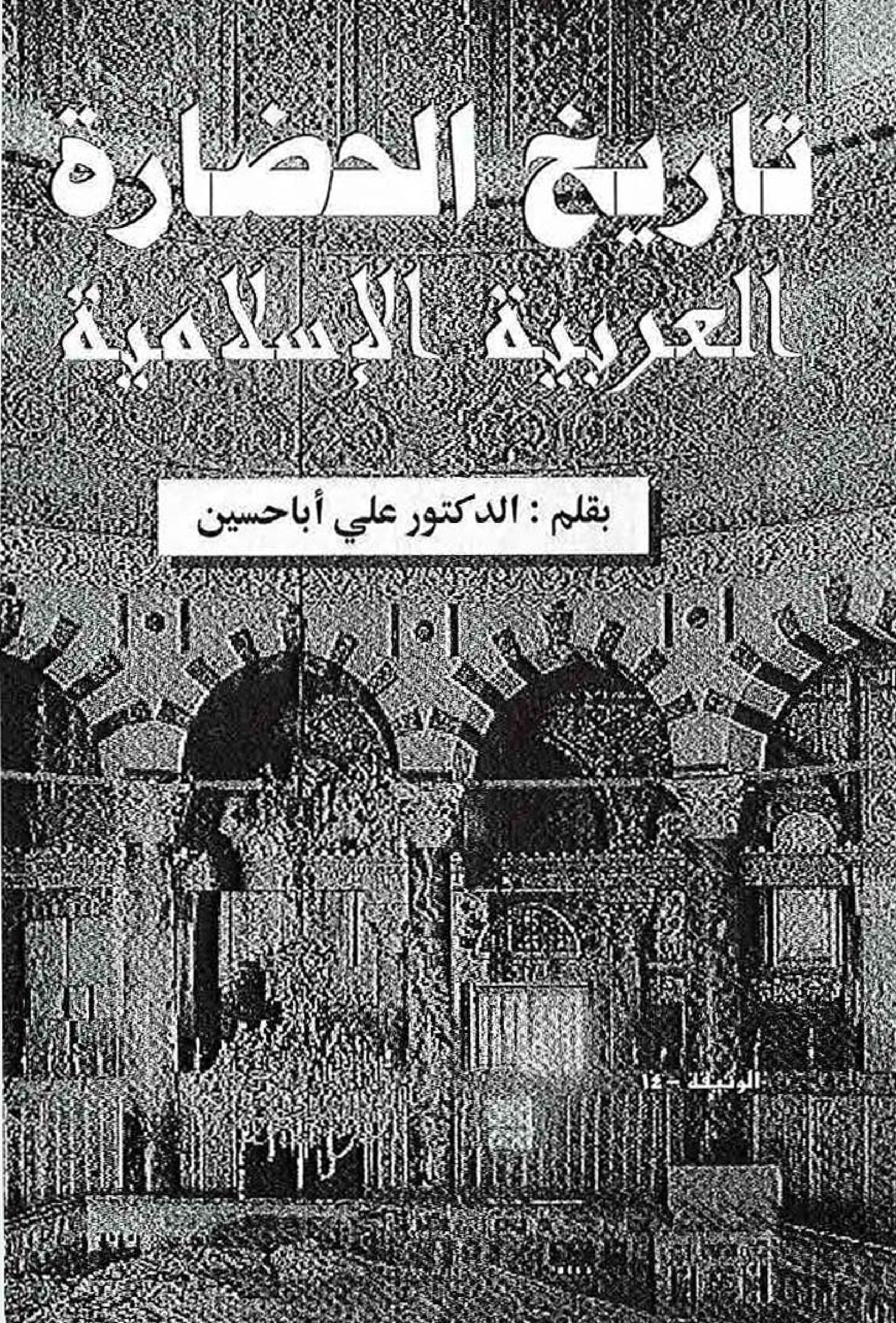
استطاع اليعاربة من عمان بمعارك ضارية احتلال القلاع البرتغالية في مسقط كما ساهم بقية أبناء الخليج في التخلص من قوة البرتغال بفضل وحدتهم وتماسكهم . . ولم تسْلَم البحرين منذ تولي آل خليفة مقاليد الأمور من المحاولات المستمرة للنيل منها فقد كانت هذه الجزر وطوال تاريخها محل أطماع مختلف القوى واستطاع أهل البحرين بقيادة آل خليفة أن يتصدوا لكل المحاولات واحتشد أبناء البحرين خلف قادتهم من آل خليفة الذين تقدموا الصفوف وسقط منهم الضحايا فوق هذا التراب العزيز حتى احتفظوا للبحرين بكيانها وحتى طردوا من شواطئها كل المحاولات التي تتابعت في محاولة للنيل من وحدتها وفي السيطرة على أرضها . . وذهب الجميع وبقيت البحرين سليمة بشعبها . . سليمة بأرضها . . سليمة بأحلامها التي انطلقت في مسار محدد يستهدف تحقيق الحلم الكبير في تحويل البلاد من دولة يرتبط مسارها

ومصيرها بصيد السمك أو صيد اللؤلؤ وتعتمد مواردها ومقدراتها على الحظ والأمنيات إلى دولة حديثة تقوم على أسس علمية واقتصادية راسخة وواعية .

وعندما جاء الاستفتاء أعلن شعب البحرين كلمته عالية ومدوية أمام العالم كله . . اختارت البحرين الاستقلال مؤيدة لحكم آل خليفة قادة لسفينة الوطن وقادة لانطلاق البلاد نحو الغد المنشود ومنذ الاستقلال بدأت البحرين دربها نحو تحقيق الآمال المطروحة وبدأ ظهور البحرين على الساحة الدولية شعباً واحداً ولاؤه للأرض وولاؤه للعلم الواحد . . وإيمانه العميق بأن هذه الجزر هي ديارهم . . هي ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم توارت النزعات واختفت الأطياف وسقطت الأقنعة عن الوجوه الشريرة التي تحاول النيل من هذا الشعب الطيب والنيل من هذه الأرض الطاهرة . لقد اختارت البحرين مسارها وحددت ملامح مصيرها وانطلقت دون توقف على درب الإصلاح . . وتتابعت الخطط ووضعت الثوابت التي توفر لهذه المسيرة كل سبل النجاح . . كان الثابت الأول هو مجتمع الأسرة الواحدة . . الأب المسئول والأخوة الذين يجمعهم الحب وتوحدهم جدران البيت الواحد، والأسرة المتماسكة . . والثابت الثاني هو التنمية المستمرة وتحولت البحرين في ظل هذه السياسة من دولة تعتمد في رزقها على الحظ وعلى ما تجود به الأمواج، إلى دولة حديثة توفر للتنمية المستدامة ما تتطلبه من موارد على طريق محدد المعالم معروف بدايته ومعروفة غايته وتحولت تلك الجزر المباركة إلى دولة تحتل مكانها اللائق بها وسط المحافل الدولية وفي قلب الخريطة الدولية وأصبح النموذج البحريني كما قلت في مقدمة هذه السطور نموذجاً ملفتاً للنظر ومحل الدراسة والإعجاب معاً . . وانطلقت مسيرة الإصلاح الأخيرة فتية قوية واعية راشدة لتحقيق مزيد من الخطى على درب

# تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

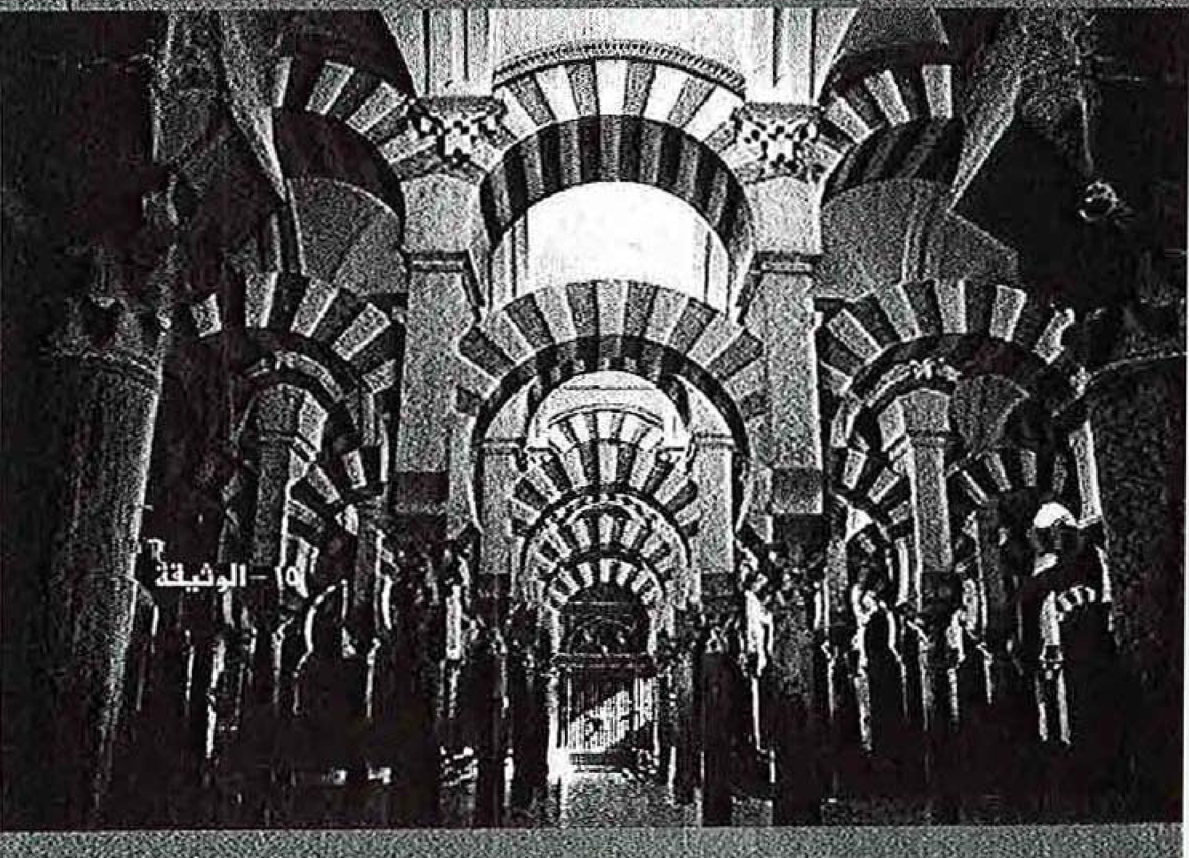
بقلم : الدكتور علي أباحسين



الوثيقة - ١٤

التاريخ من الناحية اللغوية هو الإعلام بالوقت أو التوقيت أي زمن وقوع الحوادث فيقال (أرخت الكتاب إذا جعلت له تاريخاً أي وقته واتفقت الصحابة على ابتداء التاريخ من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وجعلوا أول السنة المحرم ويعتبر التاريخ بالليالي لأن الليل سابق النهار عند العرب . . . فتمسكوا بظهور الهلال وإنما يظهر بالليل فجعلوا ابتداء التاريخ وتاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه) .

وقيل أن اشتقاق كلمة (تاريخ) سريانية وتعني الشهر أو الزمن، أو من كلمة (يرخ) أو (آرخو) البابلية، كما ذكر أن أصل الكلمة سامية من كلمة (ياريح) العبرية ومعناها (القمر) و (يرح) ومعناها (الشهر) فيصبح معناها تحديد الشهر.



الوثيقة - ١٥

أما كلمة (History) في اللغات الغربية فأول من أطلقها أبو التاريخ (هيرودوتس) اليوناني الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد فلما كتب كتابه أراد منه البحث والتحري ومعنى ذلك أن أول ما أشار إليه هيرودوتس هو البحث والتحري وسير الحوادث الماضية تلك التي تتعلق بفعاليات الإنسان بمختلف صورها ومن مراجعة اللغات الأجنبية نجد أن كلمة (قصة) أو (أسطورة) العربية مشابهة كلمة (History) إلى حد كبير فأحياناً من لفظ أو لفظين متقاربين ففي اللغة الإغريقية التي هي من أقدم اللغات التي سجلتها الحضارة تطلق على التاريخ وقصته لفظ (Istoporia) وفي اللغة الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية (Istoria) كما في اللغة الإنكليزية (History) وهكذا نجد أن هذه الكلمة متشابهة في اللغات الغربية ما عدا في اللغة الألمانية فتدعى (جشختا) (Geschichte) وهي مأخوذة من كلمة (Geschen) ومعناها (حدث) أو (وقع) وتعطي معنى حوادث .

مما سبق نستنتج أن كلمة (التاريخ) في اللغة العربية واللغات الأوروبية نستعملها في معاني ومفاهيم مختلفة قسم منها بعيد عن المعنى الاصطلاحي العلمي ونقصد به مجرى الحوادث الواقعة، وأحياناً نستعمل التاريخ لتعيين زمن الحوادث ونقدر في الحالة الأخيرة أن نجعل كلمة (Date) بمكان هذا المعنى ولكن هذا الاصطلاح العلمي غير صحيح .

وبدأ تأريخ التاريخ في العصور القديمة ولكن مفهومه العلمي أمر حديث بالنسبة إلى تفكير البشر . وقد ساهم كثير من المفكرين الذين ينتمون لشعوب مختلفة في وضع أسس عامة لموضوع التاريخ، فهو عند العرب بدأ في عهد المقدسي (المتوفى ٣٨٠هـ) وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) . وهناك أدلة على أن قسماً من مؤرخي العرب بحثوا في التاريخ بدليل ورود اقتباسات في مقدمة ابن

خلدون مثلاً وأن العرب فهموا التاريخ على الطريقة العلمية بالبحث والتحري لا سرد الحوادث فقط .

وبدأ التاريخ يأخذ مكانته العلمية ليصبح علماً منظماً في نهاية القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر، فأصبح التاريخ : (يعنى بوصف الوقائع الاجتماعية والطبيعية وتبيان الأزمان التي حدثت فيها مع ذكر العوامل التي أدت إلى وقوعها) ويقصد بالحوادث أو الوقائع الطبيعية تلك التي وقعت دون أن يكون للإنسان أثر في حدوثها كالآثار التي تحدثها الزلازل والبراكين والفيضانات . أما الحوادث أو الوقائع الاجتماعية فتدل على كل ما حدث نتيجة لأعمال الإنسان مدنية كانت أم عسكرية سواء أكان ذلك من ناحية الإنشاء والترميم أم من ناحية الهدم والتدمير، ويتضمن هذا المعنى لكلمة تاريخ أن معرفة الإنسان لما وقع من الحوادث في جميع الأزمان والأمكنة لا تستطيع أن تستوعب الحوادث التاريخية كلها فمجال التاريخ حسب هذا التعريف واسع سعة الكون نفسه وأن ما يعرفه الإنسان من حوادثه أقل مما حدث فعلاً وجرياً مع هذا المنطق يصبح لكل شيء تاريخ فإن للكون تاريخ وللشمس تاريخ وللكرة الأرضية تاريخ وللحياة تاريخ ولكل نهر تاريخ وتاريخ للبرلمان وتاريخ للفيزياء وتاريخ للأدب العربي . . .الخ .

وتستعمل كلمة تاريخ أحياناً لتعبر عن الآثار التي يتركها وقوع الحوادث على صفحة الطبيعة وفي ثنايا المجتمع كتلك التي يتركها حدوث الزلازل أو الأمطار أو الحروب وما شاكلها وهنا فإن معرفة الإنسان لجميع الوقائع التاريخية ليست مستحيلة عكس التعريف الأول للتاريخ .

وتستعمل كلمة التاريخ أحياناً (لتدل على ما استطاع الإنسان أن يعرفه من الحوادث الماضية طبيعية كانت أو اجتماعية) ولا يشترط أن تكون مدونة بل تشمل الآثار والرموز وبقايا آثار المعابد والكهوف والجسور والأبنية على

اختلاف أنواعها وهنا يصبح التاريخ بهذا المعنى أقل بكثير مما وقع فعلاً وأقل كذلك مما خلفه وقوع الحوادث الاجتماعية والطبيعية من آثار، ذلك لأن الآثار التي عفت في زمن ما، لا يمكن معرفتها، كما أن الآثار التي لم يستطع المؤرخ أن يصل إلى معرفتها على الرغم من وجودها لا تدخل حسب هذا التعريف ضمن التاريخ غير أنها يمكن أن تصبح جزءاً من التاريخ في أية لحظة من لحظات التاريخ إذا ما اهتدى إليها المؤرخون فالتاريخ بهذا المعنى يتسع مجاله باستمرار كلما اتسعت المعرفة التاريخية عند الإنسان .

أما رأي هيرودوتس اليوناني بالتاريخ فهو (التحقيق في الحوادث الماضية على أن يقوم المؤرخ نفسه بهذا التحقيق) فيسافر إلى الأماكن التي يريد دراستها من الناحية التاريخية وهذا ما حدا بهيرودوتس أن يقوم بأسفار كثيرة وطويلة بالنسبة للزمان والمكان الذي عاش فيه ليحقق بنفسه كثيراً من الحوادث التاريخية تمهيداً لتسجيلها بأسلوبه ولغته الخاصة . وبذا استند هيرودوتس على البحث ثم الإعلام والجوْب أو التجوال .

أما من جاء بعد هيرودوتس من مؤرخي الإغريق فالتاريخ في نظرهم (ما توصل البحث إليه أو نتائج البحث) فالفرق أن هيرودوتس يهتم بالأسلوب أو الطريقة في البحث بينما الآخرون يهتمون بالموضوع أو المادة التاريخية .

ومن هنا انتقل معنى التاريخ إلى اللغات اللاتينية، وبعض اللغات الأوروبية الحديثة، فسمي هيرودوتس (أبو التاريخ) لأنهم اعتبروا التاريخ يعني جميع الحوادث التي دونها هيرودوتس بأسلوبه والتي وقعت نتيجة لأفعال الإنسان في مختلف صورها وتعدد مجالاتها . أما الحوادث الطبيعية فتدخل تحت علم الفلك أو الجيولوجي أو علم الحياة .

هكذا أصبح التاريخ بمعناه الاجتماعي ينقسم إلى أقسام، حسب زمانه، فهناك تاريخ قديم ومتوسط وحديث، ويختلف التقسيم باختلاف المؤرخين،

وأحياناً يقسمونه (حسب موضوعه) كتاريخ سياسي وثقافي وعسكري، وأحياناً يقسمونه (حسب الأمم) كتاريخ العرب وتاريخ الفرنسيين ونحوه وكل قسم يقسم إلى أقسام أخرى، فتاريخ العرب يقسم إلى تاريخ سياسي، أو ثقافي . . . الخ .

وكلما اتسعت المعرفة التاريخية وتوغل الاختصاص زاد عدد تلك الأقسام، واليوم أصبح التاريخ بمعناه الاجتماعي أكثر شيوعاً وإن كانت التعاريف الأخرى متبعة أحياناً .

## تدوين التاريخ :

يدون المؤرخون حوادث التاريخ بعد وقوعها بزمن طويل أو قصير وكلما بعد الزمن أو المسافة بين وقوع الحادثة التاريخية وبين تدوينها أصبح من الصعب توخي الدقة في تسجيلها فالمؤرخ في الغالب هو الذي يدون الحوادث القريبة منه في الزمان أو المكان بشكل مباشر من المحتمل أن يكون أكثر دقة من المؤرخ الذي يدون حوادث بعيدة عنه في الزمان والمكان، مع توخي الدقة العلمية خاصة في الحوادث التاريخية التي تتعلق بعقائده الدينية أو المذهبية أو السياسية فيجوز أن يتميز بطريقة لا شعورية . وأحياناً قد لا يستطيع المؤرخ أن يستوعب جميع التفاصيل والملابسات خاصة تلك التي تتعلق بالسلطة الحاكمة، إذا ما كان الضغط الفكري شديداً، وهناك من المؤرخين من يفتقر إلى النزاهة أو الدقة، أو كليهما .

ثم واجه بعض المؤرخين مشكلة (تفسير التاريخ) فمنهم من يجعل العامل الاقتصادي، هو الذي يسير الحوادث التاريخية، وآخرون يفسرون وقوعها للعامل الاجتماعي أو الجغرافي أو الروحي أو غيره . ومعظم الباحثين يجعلون التاريخ علماً لأنه يتبع العلم في الوصول إلى الحقائق التاريخية . وهذه تعتمد على الملاحظة والبحث والنقد فالاستنتاج، لذا فإن للتاريخ منهجاً أو طريقة

للبحث يصل بواسطتها الباحث إلى الحقيقة التاريخية وهو لا يعتمد على التجربة لاستحالة ذلك في التاريخ بينما يمكن ذلك في العلوم الطبيعية، مثلاً، وأن مادة الباحث في التاريخ أو مصادره إما مدونة كالسجلات والوثائق والمخطوطات والكتب أو غير مكتوبة كالآثار التي خلفها الإنسان أو التي لها علاقة كعظام حيواناته ونباتاته وآثار المناخ والسطح، وابن خلدون يعتبر التاريخ (فن) إلا أن فيه بحث ونقد ولذا يخضع لخطوات البحث العلمي وما دام كذلك، لذا يمكن اعتباره (علماً)، فللتاريخ في صورته المثالية وجهان : فهو دراسة علمية فيه التحري والبحث عن حقائق الماضي ويتقصى أصول الحاضر ويحلل أسباب هذه الحقائق والأصول ويحلل نتائجها ويستخلص منها النظريات العامة والمبادئ التي يمكن أن تصدق على أمثالها ثم يتحرى الأمانة في تقليب المشكلات على كل وجوهها ويناقش وجهات النظر المختلفة فيها ثم ينبه إلى مواضع الترجيح والتأكيد مع مواطن الشك والاحتمال فيها .

إلا أن التاريخ يختلف عن العلوم البحتة في التطبيق لأنه لا يخضع للتطبيق ولا التحكم في مفردات البحث ولا يستحضرها جميعها ليحقق الفرضيات تحقيقاً مباشراً قبل إصدار الحكم عليها خاصة وأن الحوادث تتعلق بالإنسان ومشاعره ونزعاته كما أن التاريخ لا يزود المجتمع بفوائد علمية جديدة وإن أضاف فوائد روحية وعقلية ووجدانية والتاريخ من وجهة أخرى فرع من فروع الدراسات الأدبية والفنية فهو ينسق حقائق الماضي ويصوغ أخباره وتفسيراته في أسلوب معبر مستعيناً بالوصف للحوادث وصفاً حياً بشرط أن لا يطغى الأسلوب الأدبي على جوهر التاريخ .

وما من شك أن التاريخ يستعين بما قدمه له علم الآثار وعلم الأنتروبولوجي وعلم السلالات البشرية وعلم الاجتماع وعلم البيئات وما سواها وهنا تبرز ناحية التخصص فما من أحد يستطيع أن يكتب عن تاريخ العالم كله فلابد من

أن يتخصص في تاريخ فترة قصيرة أو في ناحية اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية شريطة أن يتصف المؤرخ بالاستعداد الشخصي والإلمام بما وسعه من العلوم والمعارف واللغات والفنون المختلفة فالمنهج التاريخي يستخدم للحصول على أنواع من المعرفة عن طريق الماضي بقصد دراسة وتحليل بعض المشكلات الإنسانية الحاضرة ذلك لأننا كثيراً ما يصعب علينا فهم الحاضر دون الرجوع للماضي، فملاحظة الظواهر والأحداث اليوم لا تكفي الباحث للوصول إلى الحقيقة التاريخية إذ يجب دراسة تاريخ الماضي لهذه الظواهر والحوادث لأنه في الماضي بذور الحاضر . وهنا يعني أن على المنهج التاريخي دراسة الحوادث والوقائع الماضية وتحليل حقائق المشكلات الإنسانية التي تظهر في الوقت الحاضر لذا أصبح التاريخ ضرورة في فهم الحاضر فإذا أردنا مثلاً دراسة أي مجتمع معاصر لابد من دراسة ماضيه وحينئذ نحتاج إلى المنهج التاريخي، الذي يغوص بنا إلى أعماق الماضي للوصول إلى الحاضر .

والمنهج التاريخي يدفعنا إلى ضرورة الاستفادة من مصادر كثيرة منها :

١ — **الوثائق** : وهي إما مكتوبة كالمخطوطات والمذكرات والاتفاقيات والقوانين والصحف وغيرها أو ما تناقله الخلف عن السلف من قصص وأساطير وحكم وأمثال وشعر وأغاني شعبية وطقوس، أو أن تكون مصورة كالرسوم والتماثيل المنحوتة والصور والنقود ونحوها .

٢ — **ما كتب من بحوث وكتب .**

٣ — **شهود العيان** الذين لاحظوا الحوادث أو الوقائع ومصادر أخرى .

ولابد للمؤرخ من مؤهلات منها : مكتسبة بالتمرين وتدخل تحت العلوم المساعدة وأخرى تكون استعدادات أو ميولاً شخصية للمؤرخ .

**فأما المؤهلات المكتسبة** : فهي كل العلوم الموصلة للتاريخ كأن يكون المؤرخ واسع الثقافة عارفاً بالعلوم المتصلة مباشرة بدراسة التاريخ وبالدرجة

الأولى علم الاجتماع الذي يدرس المؤسسات البشرية بهيئة مقارنة ومنه يستفيد التاريخ، وأشار ابن خلدون وسبنسر الإنجليزي إلى جعل التاريخ علماً خاصاً يبحث في تطور الحياة البشرية . وعلم الاقتصاد له مساس بالتاريخ إذ له الأثر العظيم في سير الحوادث التاريخية وعلم الجغرافيا لأن التاريخ يبحث عن أحوال الإنسان في الزمان والمكان والجغرافيا تعطينا تفصيلات عن البيئة الطبيعية التي تسير الحوادث البشرية فيها . وعلم الأنتروبولوجي (الجنس البشري) ومنه يمكن الاستفادة من نظريات هذا العلم في تفسير الحوادث التاريخية إذ أنه يدرس البيئات ويستخرج قوانين ونظريات ويزودنا بالشعبيات كالأغاني والأساطير والخرافات وغيرها وعلم النفس يزودنا بدراسة الأساطير ويفسرها . أما علم الآثار فهو أكثر العلوم مساساً بالتاريخ كالآثار من العظام والآلات والمنمنمات (علم المسكوكات) وتفيدنا بما عليها من صور وأسماء وسنين وحتى المادة المصنوعة منها النقود وكذلك الشارات فنعرف السلالات الحاكمة والأحوال الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية أحياناً بالإضافة إلى ضبط السنين .

وعلم قراءة الخطوط : ويفيد المؤرخ في العصور التي سبقت اختراع الطباعة ومنها الخطوط المنقوشة على الحجر . ويلحق به المواد التي تكتب فيها كالورق أو البردي أو الحجر أوالعظام وكذلك الحبر . كل هذا فإن دراسته تتضمن إلى حد كبير التزوير والختوم تفيدنا على الأرجح لمعرفة التزوير وزمن الوثائق ومثلها الشعارات والإشارات على الدروع وشارات الجند والفرق العسكرية وتفيد المؤرخ في تقدير الزمن إلى حد ما . أما اللغات فهي ضرورية لفهم النصوص التاريخية ومقارنتها للوصول إلى ما يقرب الباحث للحقيقة التاريخية وأخيراً المصادر المكتوبة كالكتب والحوليات والسير والمذكرات اليومية وشجرات النسب والرسائل والتصريحات والخطب والمنشورات والكراسات الرسمية وضبط الكلام والصحف وهناك مصادر غير مكتوبة كالأمثلة والقصص والأشعار والملاحم

المحفوظة والنتاج الفني كالتماثيل والصور التاريخية والميداليات ثم الأنظمة الاجتماعية والعقود التجارية وعقود الزواج وسجلات الضرائب ووثائق التعيين والعزل والشرائع وغيرها .

وحتى العلوم الطبيعية مهمة في كتابة التاريخ .

أما الاستعدادات أو الميول الشخصية للمؤرخ فلابد أن (يتحلى بالروح العلمية) كأن يتجرد عن كل شيء . وأن يصبر على البحث وأن يكون أميناً ومخلصاً للموضوع وألا يتزلف لصاحب السلطان أو غيره وهذا ما وجدناه عند معظم مؤرخي العرب فإنهم لم يتخذوا كتابة التاريخ حرفة يعيشون منها فلهم موارد غيرها فلم يتزلفوا للخلفاء وغيرهم .

وأن يكون عنده روح للنقد فلا يسلم للروايات بل يشك وينقدها والشك أساس اليقين، وعدم التحيز، وأن يتحرر من الميول والأهواء وأن ينصب من نفسه ناقداً لنفسه العقل المنظم مهم في كتابة التاريخ — فإن الحضارة أساسها التنظيم والخيال العلمي الواسع كأن يتقمص الشخص الذي يبحث عنه أو العصر موضوع البحث .

## مفهوم الحضارة :

الحضارة لغةً، هي الإقامة في الحضر . يقال فلان حضري أي من أهل الحاضرة وفلان بدوي، أي من أهل البادية، وفي لسان العرب: (الحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الآباء التي يكون لهم فيها قرار . . .) ثم أريد بها ما يتبع الإقامة في الحضر من تعاون وتبادل للأفكار والآراء وما ينتج عن ذلك من معلومات ونظم تتصل بتقدم الإنسان ورقيه .

ويعرف (ابن خلدون) الحضارة بأنها أحوال إضافية زائدة على الضرورة من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفاه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوت غير منحصر .

ويراها (ول ديورانت) بأنها نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي .

فالحضارة: مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري .

## أصول عناصر الحضارة :

١ — الأنظمة السياسية .

٢ — الموارد الاقتصادية .

٣ — التقاليد المختلفة .

٤ — متابعة العلوم والفنون .

## أما العوامل المؤثرة في الحضارة فهي :

١ — **عوامل جيولوجية** : كاحتمال البراكين والزلازل .

٢ — **عوامل جغرافية** : كالزحف الجليدي أو البرد القارص أو الحر الشديد وكمية المطر أو الجفاف ونوع التربة والثروة المعدنية والموقع الجغرافي .

٣ — **عوامل خلقية** : تحدد علاقة الأفراد .

٤ — **عوامل اقتصادية** : كالزراعة والصناعة والتجارة . فالزراعة أدت إلى الاستقرار وبناء المساكن ثم المدن والمعابد والمدارس واختراع أدوات ثم تصنيع الإنتاج وهكذا .

٥ – **عوامل نفسية** : تبدأ الحضارة حيث ينتهي القلق والاضطراب .

٦ – **عوامل دينية**

٧ – **عوامل تربوية** : لا يتم الصانع صنعته أو الزارع زراعته إلا إذا كان على قدر عظيم من الصبر والعزيمة والعلم . ومن هذب بالعلم والحكمة كان أصح فهماً واستفادة .

## مظاهر الحضارة :

تشمل جميع أوجه النشاطات الإنسانية المادية والفكرية وتبدأ في منتجات الإنسان المادية كالأدوات التي يصنعها والأمتعة التي ينتفع بها والسلع التي يتبادلها وفيما يبنيه من مصانع ويشيده من عمائر وتشمل كذلك الشرائع والأحكام والأجهزة الإدارية والمؤسسات، وتتمثل في أخلاق الإنسان وسلوكه وفضائله وما تجود به قريحته في مجال الأدب والفن والعلم وكذلك معتقداته الدينية ومذاهبه الفلسفية وقيمه الخلقية فالحضارة كالحياة عناصرها متداخلة متشابكة تأبى الفصل والتقسيم، فمثلاً تبدأ بالأدوات الحجرية كالدولاب والمطرقة والسندان إلى المرجل البخاري إلى المحرك الكهربائي إلى الآلة الإلكترونية الحاسبة التي تضاهي دماغ الإنسان، ومثلها أدوات الزراعة ويضاف لها القدرة الفنية أو المهارة التكنيكية التي يبدو فيها الإنسان صانعاً في الطبيعة مستخرجاً مركباً مكيفاً مخترعاً مستكشفاً ومع المعرفة الناشئة عن التجربة والاختبار لذا تكون القدرة الفنية الحاصلة في أية حضارة تكون بمقدار ما تتمتع به تلك الحضارة من أدوات الإنتاج .

وكلما كانت الحضارة عالمية في رسالتها، إنسانية في نزعتها، روحية خلقية في اتجاهاتها، واقعية في مبادئها، كانت أخلد في التاريخ وأبقى على

الزمن وأجدر بالتكريم لأنها بذلك تسعد الإنسانية وتبعدها عن المخاوف والآلام كالحضارة الإسلامية .

## الحضارة . . والمدنية . . والثقافة

هذه الألفاظ تتداخل في مدلولاتها إلى حد كبير ويصعب إيجاد حدود قاطعة بين الواحد منها والآخر، ومع ذلك يمكن تعريف حضارة شعب ما . بأنها (أفضل ما تضمنه وعبر عنه نشاط هذا الشعب من النواحي الفكرية والمادية لخدمة مطالب أهله ومطالب عصره) يستوي في ذلك إن كان هذا النشاط راقياً من وجهة النظر الحديثة، أم لم يكن، فللشعوب البدائية في مجاهل القارات حضارتها المتواضعة التي تناسب بيئتها وتفي إلى حد ما بمطالب أهلها كما أن للشعوب المتطورة في العالم الحديث حضارتها الواسعة، وللعصور الحجرية القديمة حضارتها التي تناسب أزمانها كذلك، وهي متطورة عن حضارات سبقتها وقامت على أساسها .

ويشترك مدلول لفظ (المدنية) مع مدلول لفظ (الحضارة) في بعض نواحيه ولكن المدنية أقل شمولاً من مفهوم الحضارة إذ ينصب مفهوم المدنية على الشعوب الراقية دون المتخلفة وعلى النواحي المادية أكثر من النواحي الفكرية والمعنوية فإذا تحدثنا عن مدنية الغرب، مثلاً، عنينا بذلك اختراعاته الحديثة ووسائل حياة أهله أكثر مما يعني ديانته وأخلاقياته .

أما لفظ (الثقافة) (Culture) أو تمدن أو تربية فهو أكثر تحديداً من التعبيرات الأخرى إذ ينصب على النواحي الفكرية والروحية أكثر من غيرها والتاريخ يستعين عادة بأعمال الناس وردود الفعل عليها ووزنها بميزان سليم، لأن أعمالهم ترجمان عن أفكارهم .

## أصول الحضارة الإسلامية

أما الحضارة والنظم الإسلامية موضوع البحث فهي تستند على القرآن الكريم ثم سنة النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير بالدرجة الأولى ويدخل عامل الاجتهاد والإجماع والقياس بالدرجة الثانية، ثم ما ابتكروه في فنون المعرفة، وأخيراً ما ورثه المسلمون من العرب والأمم الأخرى من تراث .

## نظام الحكم في عهد الرسول ﷺ

باستقرار الرسول ﷺ في (يثرب) رد إليها اسمها القديم وهو (المدينة) وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعقد معاهدة مع يهود المدينة وبذلك بدأت نواة الدولة الإسلامية وأصبح الرسول ﷺ مرجعها في كل ما يمسها فهو يتولى تعليمها ورياستها وقيادتها والفصل في كل ما يعرض لها، يقوم بكل هذه الواجبات بنفسه ما وسعه ذلك ويستعين بمن حوله فيما لا طاقة له به . وكان عمله مؤسساً على قاعدتين متميزتين التمييز كله، أولاهما إتباع ما نزل به القرآن وهذا ينفذه الرسول ﷺ في كل فرد من أفراد دولته على السواء لا يقبل فيه شفاعة ولا مناقشة ولا يعبأ بمطابقتة لتقاليد العرب أو بمخالفته لها . والقاعدة الثانية الاجتهاد فيما لم يرد له حكم في القرآن . ولم يكن الرسول ﷺ يخفي عن أصحابه ما يسير فيه بمقتضى الوحي وما يسير فيه بمقتضى الاجتهاد بل كان شديد الحرص على الفصل بينهما في الحرب والسلم على السواء .

وفي حالة الاجتهاد كان ﷺ يبذل كل ما في وسعه لبلوغ هدفه وهو مصلحة الجماعة ويستشير من عرفوا بجودة الرأي وسعة العلم من أصحابه ومن أمثلة ذلك أنه اختار لموقف المسلمين في معركة بدر الكبرى أدنى ماء إلى المدينة ثم أخذ بمشورة الحباب بن منذر الخزرجي أدنى ماء من القوم .

وكان الرسول ﷺ قد أخذ برأي الصحابي سلمان الفارسي في حفر الخندق (. . .) من أن تتسع دائرة عمله بازدياد انتشار الإسلام وبدأ يكثر أعوانه في الحكم وتظهر – بالتالي بذرة لكل وزارة من وزارات الدول المتحضرة في كل عصر وأوان – فالرسول ﷺ المعلم الأول في دولته وهو يرسل إلى كل قبيلة تدخل في الإسلام معلماً يفقهها في الدين، وأن أول ما أمر به الدين القراءة وأن الله علم بالقلم – علم الإنسان ما لم يعلم وتلك كانت بذور وزارة التربية والتعليم والمعارف .

**أما بذور وزارة الداخلية** فنجدها في تكليف سعد بن أبي وقاص بأن يعس بالليل، وفي استعانته على ضبط البدو بقيد أسمائهم وبيان أحوالهم وفي استعانته في الحراسة بسعد بن معاذ وبأبي أيوب الأنصاري . ومن قوله ﷺ في ذلك (اللهم احفظ أبا أيوب، كما بات يحفظني) .

**ومن بذور وزارة العدل** أنه ﷺ كان القاضي الأول وكان يرسل القضاة إلى ما بعُد عن المدينة، بعد أن يختبر مبلغ معرفتهم بالقضاء، اختار معاذ بن جبل قاضياً على اليمن وعقد له امتحاناً قبل إرساله واجتاز الامتحان بنجاح فقال ﷺ : (الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضاه رسولُ الله) .

ومن بذور وزارة المالية أنه ﷺ كان يستعين بأُبَيّ بن كعب وكان يقرر لكل موظف راتباً معيناً، فعين (عتاب بن أُسَيد) والياً على مكة وجعل راتبه درهما كل يوم فقال (لقد رزقني رســول الله درهماً كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد) .

ومن بذرة وزارة الخارجية أنه ﷺ عين لكتابة سرِّه زيد بن ثابت الأنصاري وقال له بأنها (تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد) وأمره أن يتعلم اللغات الأجنبية التي يتصل أهلها بالمسلمين فقد كان زيد كاتب سره وترجمانه للفارسية والرومية والقبطيـة والحبشية والعبريـة . وكذلك حذيفة بن اليمان .

وكان يستعين في كتابة العهود وشروط الصلح بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه . ولما أراد الكتابة إلى الملوك أخبره أصحابه أن الروم لن يقرءوا كتابه إلا إذا كان مختوماً فصنع له خاتماً من فضة نقشه (محمد رسول الله)، وفي رواية خاتم من حديد عليه فضة .

## الجهاد :

إن من أسباب الجهاد تقييد حريةٍ الدعوة إلى الإسلام من قبل المشركين وحصرها في أضيق نطاق يمكن توصلاً إلى القضاء عليها، فكان هذا التضييق وذلك الاضطهاد مما دفع المسلمين الأوائل للدفاع عن الدعوة وقد تمثل ذلك الاضطهاد بنهب أموال المسلمين في مكة بعد إخراجهم من ديارهم ولاحقوهم إلى المدينة يحاربونهم ثم (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) وحدد التصريح بالقتال دفاعاً عن الحرية عامة وحرية نشر الإسلام خاصة فقال تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) وهذا هو الإذن بالحرب الدفاعية .

## إدارة الأقاليم :

وضع الرسول ﷺ نواة النظم الإدارية فقد حل الولاء الديني محل الولاء للقبيلة وكان ﷺ يبعث إلى القبائل التي دخلت الإسلام من يقرئها القرآن،

وتفرع من بيت المال فروع منها لأموال الصدقات ولأموال المظالم ولأموال الورثة .

وتفرع من القضاة ديوان النظر في المظالم والحسبة والشرطة .

## البريد :

قال صاحب الفخري: (البريد أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان فيها وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة .

وأما معنى البريد لغة (فالبريد اثنا عشر ميلاً، وأظن أن الغاية التي كانوا قدروها بين بريد وبريد هي هذا القدر) .

وقيل أن لفظ (البريد) عربي معناه الرسول، وقيل أنه فارسي معرب من (بريده دم) ومعناه محذوف الذنب لأن الفرس كانوا يحذفون ذنب بغل البريد ليمتاز من غيره من الدواب . ورأى آخرون أنه من أصل لاتيني مأخوذ من كلمة Veredus فريدس وتعني الخيل .

وكان نظام البريد معروفاً لدى الفرس والرومان كما عرفه المسلمون منذ نشأة الدولة الإسلامية فقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال: "إذا بردتم بريداً فاجعلوه حسن الوجه، حسن الاسم"، وقد ذكر المؤرخون أن المسلمين بينما كانوا يقاتلون الروم في اليرموك جاء البريد يحمل نبأ وفاة أبي بكر وتولية عمر ﷺ وعزل خالد بن الوليد عن القيادة وتعيين أبي عبيدة مكانه .

ونظراً لاتساع رقعة الدولة في عهد بني أمية وإطلال العرب المسلمين على كثير من النظم السائدة في الدولة البيزنطية والتي كانت في دولة الفرس اهتم معاوية الأول بتنظيم البريد لتصل إليه الأخبار من جميع أنحاء البلاد ولكن أمر البريد أحكم ونظم في عهد عبد الملك بن مروان حتى أصبح أداة هامة في إدارة

شئون الدولة وقد اثر عنه أنه قال لأحد رجاله : "وليتك ما حضر ببالي إلا أربعة، المؤذن فإنه داعي الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل نشر ما أتى به ولو وجد خيراً لنام، والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه فربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة" .

وفي العصر العباسي حظي البريد بعناية فائقة من قبل الخلفاء فأدخلت تحسينات عديدة من الناحية التنظيمية والإدارية جعلت الخليفة يستطيع الإلمام بأحوال الدولة بأسرع وقت ممكن، فقد أنشئ في عاصمة كل قطر مركز للبريد يرتبط بالمركز الرئيسي في العاصمة عن طريق محطات البريد في الطرق الرئيسية بواسطة الدواب المخصصة لهذا الغرض فكانت الخيل والبغال في فارس والجمال في الشام والجزيرة العربية وعلى مسافات محدودة . كما كان في مركز البريد في بغداد لوائح تدل على الخطوط التي تخترق الدولة وتظهر محطاتها وأبعادها وعلى هذه اللوائح وضعت أسس كتب الجغرافيا فيما بعد وقد بلغ من انتظام البريد أن كان صاحبه يوافي أبا جعفر المنصور بالأخبار مرتين في اليوم . .

كانت مهمة البريد في الأصل إيصال الأخبار إلى الخليفة من عماله على الأقاليم ثم توسعوا في ذلك حتى أصبح يقوم بمراقبة الولاة والعمال ونقل أخبارهم إلى الخليفة ونوع معاملتهم للرعية ويطلعه على كل ما يجري في سائر الأقاليم من أحكام يصدرها القضاة إلى ما يرد بيت المال من أموال كما يطلعه على أسعار الحاجيات من قمح وحبوب ومأكولات ويقول (فون كريمر) : أنه كان على رأس كل مصلحة في الولايات الكبيرة عامل بريد مهمته موافاة الخليفة بجميع الشئون الهامة بل والإشراف على أعمال الوالي كما كان بعبارة أخرى مندوباً أولته الحكومة المركزية ثقتها فكان الخلفاء يعدون عمال البريد

عوناً لهم في الإشراف على أمور دولتهم وبواسطتهم كانوا يقفون على ولاتهم وسائر رجال دولتهم .

لهذا نرى الخلفاء لا يولون البريد إلا ثقاتهم من أهل التعقل والدراية ، لأنه على ما ينقلون من أخبار تتوقف علاقة الخلفاء بعمالهم ومعاصريهم . وكذلك حدث تطور جديد في مهمات البريد فبعد أن كان خاصاً بأعمال الدولة الرسمية أصبح يستعمل في خدمة الشعب، وإن كان بشكل محدد . ولم يكتف المسلمون بما وصل إليه نظام البريد البري، ولكنهم خطوا خطوات واسعة في تنظيمه ونقله بسرعة وصوله واستعملوا في ذلك الحمام الزاجل .

واعتنى خلفاء بني العباس بهذا الحمام وتنافس فيه الرؤساء في العراق وبالغوا في أثمانه . وذكر الثعالبي أن الرسائل كانت تفد في ذلك العصر من الرقة والموصل إلى بغداد وواسط والكوفة والبصرة بواسطة الأطيار في يوم وليلة . وكان للحمام الزاجل أبراج في القلاع وله عناية خاصة، كما استعمل المسلمون في المراسلة طريقة أسرع من الحمام وهي بناء المناظر والمنائر كالأبراج العالية على المرتفعات ونقل الإشارات عليها بإشعال النار فينتقل الخبر من منظرة إلى أخرى حتى يبلغ المكان المطلوب فكانت النار تستخدم ليلاً والدخان نهاراً .

لقد كان صاحب البريد أشبه برقيب للخليفة فهو عين للخليفة على عماله وسائر رجال دولته . وعين الخلفاء صاحب بريد مع الوزير والقاضي والوالي وصاحب الشرطة فلا يخلو مع أحد إلا وصاحب البريد ثالثهم، وحدث أن اتفق أبو مسلم مع صاحب بريده حين توجه إلى أبي جعفر المنصور فعندما بعث المنصور كتاباً يسأل القائد الذي عينه أبو مسلم قبيل قدومه على الخليفة — يسأله عن الأموال ويحمله على جلبها له وختم الرسالة بختم أبو مسلم كله فعرف أنه ليس من أبي مسلم لأن أبا مسلم اتفق مع صاحب بريده أو قائد

عسكره أنه سيختم له بنصف الخاتم وقد يرسل البريد على السفن بالبحار أو بواسطة السعاة بالجري .

## الحسبة والمحتسب :

تأسست وظيفة الحسبة استناداً على الآية الكريمة من سورة آل عمران قوله تعالى : "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" . ومن أجل ذلك يختار المحتسب ممن درسوا الشريعة وفهموها وتدبروا حكمها فكان قدوة لغيره في رضى الله تعالى مؤدياً لواجباته الدينية مقتدياً برسول الله ﷺ في نظافة البدن والثوب ولين القول طلق الوجه . فهو منصب ديني من قبيل القضاء يحمل الناس على المصلحة العامة في المدن مثل منع المضايقات في الطرق والحمالين وأهل الحيوانات من إكثار الحمل أو إبقائه على ظهور الدواب وهي واقفة مدة طويلة وهو ما تفعله اليـــوم جمعية الرفق بالحيوان .

ويمنع المحتسب من رمي القمامة في الأسواق والطرق كما يمنع أحمال الحطب من دخول الأسواق ويأمر بكنس الأسواق وتنظيفها وهو ما تفعله اليوم البلديات، ويلاحظ المباني المتداعية وإزالة ما يحتمل ضرره منها ويمنع إبراز البناء إلى الطريق العام . وللمحتسب الحق في التوبيخ للمذنبين والزجر بالكلام والحبس والنفي والضرب وكان يستخدم السوط والدرة وهي التي تصنع من جلد البقر وتحشى بنوى التمر لتستعمل أداة للضرب ويضع المحتسب أحياناً على رأس المذنب غطاءً خاصاً من اللبد وينقش بالألوان لتشهير المذنب وتجريسه ويشرف المحتسب على الفرانين وتجار الغلال والدقيق ومراقبة عدم خلط الرديء بالجيد من الغلال ويلاحظ نظافته .

حتى أن المحتسب يراقب الأطباء حتى عده البعض طبيباً، ثم يلاحظ المعلمين ويأمر بعدم ضربهم للصبيان إذا بالغوا في الضرب .

ويراقب المكاييل والمقاييس . وكان المحتسب يعين من قبله وكلاء في الأعمال والكور ومجلسه عادة في الجامع . ويتفقد نوابه اللحوم والمطبوخات والسقائين من حيث كمية الماء ونظافته .

ويمشي المحتسب عادة في الأسواق أو راكباً ومعه أعوانه فيزن الخبز واللحم حيث يرسل صبياً أو جارية لشراء لحم ثم يحاسب من يخالف التسعيرة أو يخسر الميزان . كما أن المحتسب يراقب أهل الذمة في تطبيق شعائرهم دون أن يؤثروا على المسلمين .

## الجيش :

لم يكن للعرب في جاهليتهم نظام خاص للجند لأنهم كانوا على شكل قبائل متفرقة تنفر كل منها بمكان خاص فإذا اضطرت واحدة من هذه القبائل لقتال قبيلة أخرى استنفرت رجالها فيذهب هؤلاء لقيادة أميرهم أو أشجعهم فيقاتلون بالأسلحة التقليدية (السيف والرمح والقوس) ومعهم نساؤهم وأموالهم ويبدأ القتال بالمناوشة الفردية على طريقة الكر والفر ثم يلتحم الجيشان على شكل غير منظم وبعد انتهاء المعركة يعود أبناء كل قبيلة إلى مساكنهم وينصرفون إلى أعمالهم وكان هدف القتال في ذلك العهد لا يعدو أن يكون أخذا بثأر أو رغبة في السلب والنهب في معظم حالاته . وبعد ظهور الإسلام تغيرت الحال فحلت الرابطة الدينية محل العصبية القبلية وأصبح القتال دفاعاً عن الدين الجديد وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تحرض على الجهاد وتنظم أسسه وتحدد أهدافه كما تجلت في الوقت نفسه عبقرية الرسول ﷺ والصحابة في القيادة والتنظيم العسكري فابتدأ المسلمون تحت تأثير هذه العوامل

يأخذون شكل الجيش النظامي . وعندما دانت الجزيرة العربية كلا للإسلام أصبح الجيش العربي الإسلامي من القوة بمكان زحف على الشام والعراق ثم فتح مصر وأفريقيا وامتدت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الثالث إلى المغرب وإلى أرمينيا وبلاد القفقاس بعد انتهاء فتح فارس وخراسان .

انقسم المسلمون في الأمصار التي فتحوها إلى أجناد كل جند يقيم في محطة خاصة به وكان جند كل محطة ينقسم باعتبار البطون والقبائل فكانت محطة البصرة، مثلاً، تضم خمسة أقسام يقطن كل قسم إحدى القبائل (وهذه القبائل هي : الأزد، ثحيم، بكر، عبد قيس، وأهل العالية) وقد ابتدأ أفراد كل جند بزراعة الأرض التي حولهم لإعانة عوائلهم فاشتغل بعضهم بالتجارة فخشي عمر ﷺ أن يؤثر ارتباطهم بالأرض وانشغالهم بها على قابليتهم للحركة لذا حرم عليهم مزاولة أية حرفة وعوضهم بعطاء ثابت يصرف لهم من بيت المال فأسس ديوان الجند لهذا الغرض، وبذا فإن الجيش أصبح يتكون من :

١ — **المرتزقة**، وهم الذين اتخذوا الجندية مهنة دائمة لهم .

٢ — **المتطوعة**، وهم الغير مسجلين في الديوان، وهؤلاء يشتركون في الجيش وقت الحرب فقط ثم يسرحون وقت السلم ليزاولوا أعمالهم الخاصة .

ولما أتى الأمويون للحكم توسعوا في الغزو والفتوحات توسعاً كبيراً مما استدعى زيادة عدد الجند بصورة كبيرة فكان عدد المرابطين في البصرة فقط ٨٠,٠٠٠ والكوفة ٦٠,٠٠٠، بينما كان يقدر الجيش الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب بـ ١٥٠,٠٠٠ مدونين في الديوان، وقد سار الأمويون على خطة عمر في تنظيم الجند إلا أنه بعد الفتنة والحروب الداخلية التي أعقبت مقتل عثمان (٣٥ هـ) وبعد أن أصبح القتال دفاعاً عن الرأي بين المسلمين أنفسهم أصبح المدعوون إلى القتال يتهيبون الاقتتال مع إخوانهم في الدين والعروبة مما جعل الأمويين يأخذون بالتجنيد الإلزامي وأول من نقل ذلك الحجاج بن يوسف

الثقفي . وظل الجيش الإسلامي في هذا العهد كالعهد الذي سبقه عربياً محضاً حتى توسع الأمويون في فتح شمال أفريقيا فانضم إليه أعداد كبيرة من البربر خاصة عند فتح الأندلس .

## الجيش في العهد العباسي :

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس لذا كان طبيعياً أن يشغل الفرس نسبة عالية من الجيش الإسلامي في هذا العهد إلا أن هذا لا يعني اختفاء العنصر العربي منذ البداية ففي زمن المنصور كانت فرق الجيش أربعاً هي اليمانية والمضرية والربيعية والخراسانية . وتغيير آخر، فقد كان الجند في عهد الراشدين يسجلون حسب السابقة، وفي عهد بني أمية حسب النسب ولكن في هذا العهد، ولما كثر الموالي في الجيش صاروا يسجلون حسب الجنس (خراساني، أهوازي، طبرستاني . . .الخ) .

ولما ولي المعتصم الخلافة سنة ٢١٨هـ كانت فرق الجند هي :

**الأعاجم** : من أهالي خراسان وفارس وكرمان ومكران وسجستان وغيرهم .

**المغاربة** : من أهالي مصر وما يليها غرباً .

**الترك** : من السند وفرغانة وسمرقند .

**الحربية** : من العرب .

**المتطوعة** : وهم الذين ينضمون إلى الجيش في حالات الحرب فقط .

وكانت أقوى الفرق هي الأعاجم فأراد الحد من خطرهم فقرب الأتراك (أمة تركية) فشغب عليه العجم فبنى مدينة (سامراء) ونقلهم إليها وبعد المعتصم أصبحت فرق الجيش العباسي متباينة المبدأ واللغة والوطن وأهم هذه الفرق : الشاكرية، الساجية، السعدية، الهارونية، الصلاحية، الأسدية، البلالية، والنظامية وغيرها، وقد أخذت كل فرقة تستعمل نفوذها في الدولة لكي تصل إلى مآربها حتى أصبح في أيدي هؤلاء الموالي أمر تولية الخليفة وعزله وكان هذا من أسباب ضعف الدولة العباسية ثم سقوطها .

## تطور نظام القتال عند المسلمين :

في بداية عهد الإسلام سار الجيش على ما كان متبعاً عند العرب في الجاهلية وهو نظام الكر والفر وحمل النساء والأطفال والأموال معهم لساحة المعركة ولما كان لهذا النوع من التنظيم من مساوئ فقد أخذوا بنظام الصف عملاً بقوله تعالى "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص" فابتدأ المسلمون بتطبيق هذا النظام ونبذ نظم الكر والفر منذ وقعة بدر سنة ٢ للهجرة وحتى أواسط عهد الراشدين ولتطبيق هذا النظام كان الرسول ﷺ يأمر جنده بأن يجتمعوا في صفين أو ثلاثة كصفوف الصلاة فكان في الصف الأول حاملو الرماح لصد هجمات الفرسان ثم يليهم حاملو السهام، والسيوف في الصفين الثاني والثالث ويقف الفرسان على ميمنة الجيش وميسرته فإذا التقى الجيشان بعد عدد من المناوشات الفردية زحفت صفوف المسلمين واصطدمت بالعدو بدون كر ولا فر، لذا سمي هذا النظام أيضاً باسم (نظام الزحف) .

وفي أثناء الحرب مع الفرس والروم في العراق والشام لاحظ خالد بن الوليد أنه كلما زاد عدد المسلمين في الجيش كلما ازدادت بالتالي صعوبة السيطرة عليهم في القتال حسب نظام الصف مما رأى معه ضرورة إيجاد نظام بديل يكفل السيطرة على الجيش وتماسكه في وجه عدو عريق في فن الحرب والتكتيك فأخذ بنظام التعبئة الذي كان متبعاً لدى الروم وهو أن ينقسم الجيش إلى خمس فرق هي : المقدمة، والساقة، والميمنة، والميسرة، والقلب، وكل فرقة من هذه الفرق مقسمة إلى كراديس ولها أمير يأتمر بأمر القائد الأعلى . واستمر أسلوب القتال يتراوح بين الصف والتعبئة إلى أن عمد إلى قتال التعبئة بعد قيام الدولة العباسية .

## أسلحة الجيش :

كانت الدولة تنحُ في تموين الجند / إمدادهم بما يحتاجون إليه من المؤن والأسلحة، وكان الجيش يتألف من الفرسان والرجالة، فكان الفرسان يتسلحون بالدروع والسيوف والرماح، والرجالة يتسلحون بالدروع والحراب والقسي والسهام، والعرب لهم مهارة فائقة في استخدام السهام لحدة أبصارهم في الرمي بالقوس . وكان الرسول ﷺ يقول : "أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا أن القوة الرمي" وكررها ثلاثاً . وكان الرماة أهم عناصر الرجالة في الجيش وكذلك كان الفرسان يلبسون الدروع والخوذ المصنوعة من الصلب والمحلاة بريش النسور . ومما لاشك فيه أنه كان لاختلاط العرب بالفرس والروم أثر في تحسين أنواع الأسلحة، هذا فضلاً عما يمتاز به العربي من الخفة والسرعة في الحركة والصبر وتحمل الشدائد والحمية وبذل النفس رخيصة في سبيل الواجب . هذا ولم يقتصر المسلمون على استعمال آلات الحرب الخفيفة التي أشرنا إليها وإنما

استعملوا أسلحة ثقيلة كان لها دور بارز في إحراز النصر على الأعداء ورفع راية الإسلام عالية في معظم أصقاع العالم القديم وأهم هذه الأسلحة :

## المنجنيق :

كان المنجنيق في أول الأمر عبارة عن قاعدة من الخشب السميك مربعة أو مستطيلة يرتفع في وسطها عمود خشبي قوي يركب في أعلاه ذراع المنجنيق قابل للحركة كذراع الشادوف يتدلى منه صندوق خشبي مملوء بالرصاص والحجارة والحديد أو نحوها وفي طرفه الآخر شبكة من الحبال القوية يوضع فيها الحجر المراد قذفه، وما زال المسلمون يدخلون التحسينات عليه حتى صار أحد الأسلحة الثقيلة التي لا يستغني عنها الجيش خاصة في حصار المدن وفتح الأسوار وأمسى في العصر الأموي يجر بقوة الرجال على الزحافات ثم نرى فيه الكتل الصخرية والأخشاب المشتعلة وصار هذا السلاح الرهيب في العصر العباسي مدمراً لا يبقي ولا يذر منذ قذفوا منه قذائف النفط واستخدموا فيه نار الإغريق . والجدير ذكره أن معظم المؤرخين يذكرون أن المنجنيق استعمل منذ عهد الرسول ﷺ في غزوة خيبر وحصار الطائف .

## الضبور (الضبر) (الدبابة) :

واستخدم الضبور التي تتم عمل المنجنيق في حصار الأسوار والحصون، والضبر جلد يغطي خشباً فيه رجال تقترب إلى الحصون للقتال وقد سميت دبابة لأنها تدب دبيباً في سيرها، وقد تعلم المسلمون صناعتها منذ القرن الأول الهجري ولم تكن حينئذ ضخمة الحجم ولا كثيرة العجلات ثم وسعوها حتى باتت تتسع لعشرة جنود وتجر على ثماني عجلات وبداخلها سلالم تنتهي إلى شرفات الحصن يصعد الرجال في أعلاها وينتقلون منها إلى شرفات السور .

## رأس الكبش :

وعرف المسلمون في عمليات الحصار سلاحاً حديدياً ثقيلاً سموه رأس الكبش لأن له صورة الكبش بقرونه وجبهته ويركب هذا الرأس الحديدي داخل برج خشبي ثم يتدلى من سطح البرج محمولاً بسلالم تربطه في موضعين يصدمون به الأسوار ويعملون على ثقبها وهدمها مستعينين على ذلك بسلالم الحصار كما فعل خالد بن الوليد يوم فتح أسوار دمشق .

وكذلك استعملوا الحسك الشائك وهو بمثابة الأسلاك الشائكة في عصرنا الراهن لصد العدو وعرقلة سيره خاصة بعد أن طعم بالسم كما صار لهم قدرة على حفر الخنادق في حالة الدفاع وطمرها وعبورها أثناء الهجوم .

وكان عرض الجيش جزءاً من تدريب الجند في أوائل عهد الدولة العباسية وخاصة في عهد المنصور الذي اهتم اهتماماً كبيراً بالمسائل الحربية وكان يستعرض الجند وهو جالس على عرشه لابساً خوذته . وكانت الجيوش تصف أمامه في ثلاثة أقسام عرب الشمال وعرب الجنوب والخراسانيون ولما ولي المتوكل أمر بتغيير زي الجند القديم وألبسهم ملابس رمادية وأمرهم ألا يحملوا السيوف على أعناقهم بل يضعونها في مناطق حول وسطهم . وكان نظام الجاسوسية عند العباسيين متبعاً وكانوا يستخدمون الرجال والنساء الذين كانوا يرحلون إلى البلاد المجاورة متنكرين في أزياء التجار والأطباء وغيرهم لجمع الأخبار ونقلها لدولتهم .

## الأسطول :

الأسطول كلمة معربة عن الكلمة اليونانية Stolos ومعناها طائفة من السفن . كان لفشل حملة العلاء الحضرمي البحرية على فارس أثر في موقف

عمر بن الخطاب ﷺ من ركوب المسلمين للبحر فقد رفض بحزم طلب معاوية بن أبي سفيان والي الشام بتكوين أسطول عربي إسلامي لدرء الخطر البحري البيزنطي ومجابهته بمثل سلاحه بل ومنع عمرو بن العاص من اتخاذ الإسكندرية عاصمة له لأن الماء (النيل) يفصلها عن بر المسلمين وإن كان فشل حملة العلاء سبباً مباشراً وعارضاً فإن السبب الأهم والأعمق هو أن عرب الحجاز بالذات كانوا على جهل يكاد يكون تاماً بالبحر وركوبه .

أما الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ فلم يكن أقل من سلفه تهيباً وحذراً من البحر فقد رفض السماح لمعاوية بغزو قبرص ولكن معاوية في النهاية أقنعه بإمكانية ذلك وأنه لا خطر على المسلمين منه فسمح له على أن يكون جميع رجال الحملة من المتطوعين اختياراً لهذه المهمة فاستطاع معاوية بأسطوله الناشئ أن يفرض على قبرص صلحاً تدفع بموجبه ٧,٢٠٠ دينار سنوياً سنة ٢٩ هـ وفي سنة ٣١ وقبل سنة ٣٤هـ التقى الأسطول الإسلامي من مصر وسوريا المكون من ٢٠٠ سفينة بالأسطول البيزنطي المكون من ٥٠٠ سفينة والذي جاء محاولاً استرجاع مصر من المسلمين فنشبت بين الأسطولين معركة غير متكافئة من حيث الكم ولا من حيث التمرس في فنون المناورات البحرية ولكن الإيمان والشجاعة قلبت المقاييس وحققت النصر الأول للعرب في البحر على الروم في معركتهم هذه التي سميت ذات الصواري ومن ثم صارت الدولة الإسلامية منذ عهد عثمان ﷺ دولة بحرية بما استولت عليه من سفن الروم وبما استخدمه معاوية وعبد الله بن سعد من السفن ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحملات البحرية تتوالى على بلاد الروم فرتب معاوية الغزو عليها صيفاً وشتاءً، واستطاع المسلمون بعد ذلك أن يفتحوا جزر بحر الروم (الأبيض المتوسط) مثل رودس التي كان بها دار لصناعة السفن وسردينيا وصقلية ومالطة

وكريت وغيرها حتى أصبحت السيادة في هذا البحر للمسلمين . يقول آدمتز : ولم يكن لأوروبا سلطان على البحر المتوسط خلال القرن العاشر الميلادي فقد كان بحراً عربياً لابد لمن يريد أن يقضي لنفسه أمراً أن يخطب ود العرب كما فعلت نابلي، ويظهر أن الملاحة الأوروبية نفسها كانت في ذلك العصر على حال يرثى له من الضعف .

وقد أنشئ أول مصنع لصناعة السفن في مصر أثناء ولاية مسلمة بن خالد سنة ٥٤هـ أطلق عليه "دار الصناعة" ثم أنشئ في عهد عبد الملك بن مروان مصنع مماثل في تونس وسار الخلفاء الأمويون على تشجيع صناعة السفن فتأسست دور جديدة في بيروت وعكا وصور . وكانت هذه السفن تصنع من خشب الأرز الذي يحمل من جبال لبنان أو من الأناضول على ساحل البحر المتوسط . وكانت أهم أنواع السفن ثلاثة : **الشونة** : وهي مراكب كبيرة يقيمون فيها أبراجاً وقلاعاً للدفاع وتتسع لمائة وخمسين رجلاً ولها مائة مجداف، **والحراق** : لحمل المنجنيقات يرمى بها النفط المشتعل على الأعداء، **والطرادة** : وهي سفينة صغيرة سريعة الجري .

وكان لكل أسطول قائد ورئيس ونواتية، فالقائد يدير أمر حربه وسلاحه ومقاتلته والرئيس يدير أمر جريه بالريح أو بالمجاديف وأمر إرسائه في مرفئه والنواتية يعملون بأمر الرئيس . وإذا ضمت عدة أساطيل ولوا عليها أميراً يطلق عليه أمير البحر ومن هذا اللفظ أخذ Admiral الإفرنجي .

## النظام المالي :

كانت موارد بيت المال هي : الخراج والجزية والعشور والزكاة والفيء والغنيمة .

## ١ - الخراج

لفظ أرمني ويعني ما يوضع على الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً من مال أو حاصلات، وقد تبقى الأرض بيد أهلها وهم يدفعون عنها خراجاً كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ . وكان يؤخذ على كل جريب من الكروم عشرة دراهم ومن الحنطة أربعة دراهم، هذا في العراق بينما عمل في الشام على غير هذا وقسمت الأرض التي لا يفرض عليها خراج إلى الأرض التي أسلم أهلها بدون حرب فيدفعون عنها عُشْر الزكاة وأرض ملكها المسلمون عنوة فقسمها الخليفة على الفاتحين وتعتبر عُشراً ليس عليها خراج أيضاً وأرض أخذت من المشركين عنوة فأصبحت غنيمة تقسم بين الفاتحين فيملكونها ويدفعون عنها العُشر من غلتها فهي أرض عُشر وليس عليها خراج .

وظل ذلك إلى العهد العباسي حيث أن المنصور عدل إلى المقاسمة إذا زادت الغلة زاد الخراج وتقدير المقاسمة مفوض إلى الخليفة ولا يزيد على نصف الغلة ولا تقل عن خمسها لذا فلم يكن الخراج إيراداً ثابتاً للدولة إذ تعتمد على الاهتمام والصرف على المشاريع العامة كتعمير الجسور والطرق والري أما الجزية فتعتمد على دخول غير المسلمين في الإسلام .

وكان الخلفاء يعينون عمالاً مستقلين عن الولاة لجباية الخراج لدفع أرزاق الجند والمصالح العامة ويرسلون الباقي إلى بيت المال ويشترط في عامل الخراج أن يكون فقيهاً عالماً عفيفاً مشاوراً لأهل الرأي لا يخاف في الله لومة لائم ولا جور حاكم .

وكان الخراج يدفع عيناً على الأكثر في عهد الراشدين . واهتم الراشدون بالري والسدود وتخفيض الضريبة إذا قل المحصول لسبب من الأسباب .

وكان نظام جمع الخراج على نوعين : (المقاسمة) ويشرف عليها الخلفاء ويحاسبون عمالهم بأنفسهم . . . و(الالتزام) أو الإقطاع وهو أن يتعهد شخص بدفع مال كل سنة كخراج عن إقليم أو قرية ويقوم هو بجمع خراجها وقد بلغ خراج مصر بعد فتحها بنسبة إردبين في كل مائة إردب ولم يخل نظام الالتزام من عيوب إذ كثيراً ما يلتزم الناس بدفع أموال أو محصول أكبر .

## ٢ - الجزية :

لفظ يوناني أو فارسي وهو (كزيت) ومعناه المال الذي يستعان به على الحرب أو أن كلمة جزية من جزاء به أو عليه (أي كافأه) وهو مبلغ من المال على الرؤوس ويسقط بالإسلام . وقد ثبتت الجزية في القرآن الكريم من قوله تعالى : "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" . والفرق بين الجزية والخراج أن الخراج يجبى على الأرض ولا يسقط بالإسلام، وثبت بالاجتهاد . والجزية قديمة فرضها الإغريق والرومان والفرس وكانت سبعة أمثال الجزية التي وضعها المسلمون .

وفي عهد الرسول ﷺ وأبو بكر كانت الجزية غير محدودة إذ ترك أمر تقديرها لهما حسب ظروف الأحوال وبالتراضي مع أهل الجزية . أما في عهد عمر فقد رأى تحديد قيمتها حسب درجات الناس ومقدرتهم فأصبحت ٤٨ درهماً على الأغنياء و٢٤ درهما على متوسطي الحال و١٢ درهماً على الفقراء

الذين يستطيعون الكسب . واتفق عمرو بن العاص مع أهل مصر من أهل الكتاب على دفع دينارين عن كل حالم من الرجال، وفرضت الجزية على أهل الكتاب كما فرضت الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان لأنهما رعية لدولة واحدة . وتسقط الجزية عمن أسلم ووجبت الجزية على الرجال الأحرار الأصحاء القادرين على الدفع وليس على مسكين يُتصدق عليه أو لا يستطيع العمل أو الأعمى أو المقعد أو المجنون ولا المترهبين في الأديرة والصوامع كلهم ليس عليهم جزية .

لذا فالجزية على من يجب عليهم الجهاد من أهل الذمة فأعفوهم من الجهاد مقابل الجزية . لأن المسلمين يكفون عنهم الأعداء ويحمونهم وأموالهم وعباداتهم فيصبحوا آمنين محروسين .

وجدير بالذكر أن معاملة المسلمين في صدر الإسلام مع أهل الكتاب تمتاز بروح العدل حسب ما جاء به النبي ﷺ وطبقه قادة الإسلام .

ولا تقبل الجزية من عبدة الأوثان ولا المرتدين من العرب لأنهم يخيرون بين الإسلام والسيف لتوحيد العرب تحت راية واحدة . وفرضت الجزية على أهل الذمة وقبلت من هجر ومجوس العراق .

ويحكى أن الحجاج فرض الجزية على من أسلم من أهل الذمة في عهد عبد الملك بن مروان وأبطلها عمر بن عبد العزيز ولم توضع بعده على مسلم .

هكذا عامل المسلمون الذميين بعدالة وفق ما أمر به الرسول ﷺ من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه . هذه شريعة رب السماء . شريعة الإسلام السمحاء مع أهل الكتاب وهذه من عوامل انتشار الإسلام .

## ٣ - العشور والزكاة :

تفرض العشور على حمولة السفن حين مرورها من إقليم إلى آخر وعلى ثمن المتاجر وهي تشبه الضرائب الجمركية اليوم وقد فرضت أيام عمر ﷺ لانشغال الدولة قبله بنشر عقيدة الإسلام والقضاء على الردة والمحافظة على حدود الدولة، ولما اتسعت الدولة واستتب فيها الأمن والنظام نشطت التجارة فأخذ من التجار غير المسلمين مثل ما يأخذون من تجار المسلمين وعلى من يتجر مع المسلمين من أهل الحرب في بلاد المسلمين فعليهم العشر . وهي المعاملة بالمثل وإن كان المسلمون أكثر تسامحاً في فرض هذه الضريبة .

## ٤ - أما الزكاة :

فهي المال الذي يؤخذ من أغنياء المسلمين ويوزع على فقرائهم وتجبى في كل سنة وتوزع على ثمانية هم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب (تعتق وولاؤها للمسلمين) والغارمين (ركبهم الدين وليس عندهم ما يوفون به) وفي سبيل الله والغزاة وابن السبيل (الذي انقطعت بـه الأسـباب في سـفره عن بلده . . .) .

## ٥ - الفيء والغنيمة :

الفيء هو كل مال وصل من المشركين للمسلمين عنوة من غير قتال ويقسم الفيء على خمسة أسهم : سهم رسول الله ﷺ، وأما أربعة أخماس الفيء

فكانت تقسم في صدر الإسلام بين الجند في الأعمال الحربية حتى دونت فقدرت أرزاق الجند .

## ٦ - الغنائم :

أما الغنائم فهي كل ما كان مع الأعداء في ميدان المعركة وهي صائرة للمسلمين بعد أن تنجلي الحرب ويتحقق النصـر حيث يقسمها الخليفـة بين الأصول الخمسة على خمسة أسهم وهم من ذكروا في قوله تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه والرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ثم أربعة الأخماس ملك للقائمين ممن حضروا الحرب ومن كانوا رد لهم . وكانت موارد بيت المال تصرف على رواتب القضاة والولاة والعمال وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين وأرزاق الجند والنفقة على المسجونين والأسرى وشراء المعدات الحربية وكري الترع والعطايا والمنح للعلماء والأدباء وفرض لكل مسلم دون اسمه في الديوان رواتب سنوية (أعطية) لقاء خدماته الحربية لا فرق بين العرب والموالي، وقد عمل به في عهد الراشدين والأمويين خاصة عمر بن عبد العزيز الذي ساوى بين المسلمين والموالي والعرب في الأعطيات دون أن تكون ملكية الأرض للجند، كي لا ينشغلوا بالزراعة عن الفتوح .

دكتور علي أباحسين

# الوثيقة العمانية

إن تنظيم جهد الإنسان ظاهرة موجودة منذ قديم الأزل وتزداد أهميتها يوماً بعد يوم نتيجة تعقد أسلوب الحياة وتعدد حاجات الإنسان وخاصة مع التقدم التقني والطفرة التي نعيشها حالياً . لذلك تهتم الأمم بالحفاظ على استمرار حضارتها وتطورها وتعمل دوماً على تأصيلها من خلال الرجوع إلى أسسها ومكوناتها لربطها بواقعها المعاصر، وما وثائقنا التاريخية إلا نتاج لفكر وحضارة أمتنا . وتعد الوثائق من المصادر الأصيلة والأساسية لدراسة التاريخ والحضارة العربية لكونها منبعاً مادياً يرد فيه الكثير من المعلومات الأصلية في مجال التاريخ والقانون والسياسة والاقتصاد وعلوم الدين والآثار والفلك وغيرها من العلوم .

# الأثر الحضاري

# والأثر المعرفي

بقلم: الدكتورة شمسة بنت حبيب المسافر



الوثيقة -55

تبذل الأمم المتحضرة الكثير من الجهود لحفظ ثرائها وتسجيله وتدوينه وتصنيفه وفهرسته إلكترونياً ومن ثم تيسير إتاحته للباحثين وخاصة إن الوثائق تمثل حجر الأساس في فهم تكوين الدولة وبناء المجتمع وعلاقة أفراده وجماعاته ببعضهم البعض وتقوم بدور حضاري في بنائه الثقافي والمعرفي .

إن التراث المكتوب في الوثائق هو القاعدة الأصلية التي ترتكز عليها بنية كل أمة وهي الشاهد الأكبر على التاريخ والدليل على السمة الحضارية لأي شعب من الشعوب فهي الذاكرة الحية والباقية للأمم .

وتملك الحضارة العربية الإسلامية الكثير من كنوز المعرفة ومفاتيح العلوم، وما تزخر به مكتباتنا ومراكز معلوماتنا ودور وثائقنا وأرشيفاتنا من الوثائق هي أعظم تركة من تراثنا العربي الإسلامي، إذ تعكس جانباً مهما من عصر التاريخ الذي ما نزال نعيشه، ومن خلالها يمكن التعرف على مجموعة من المعلومات والمعارف، والقيم والأفكار، والممارسات الثقافية والاجتماعية والسياسية، ومما وصلت إليه دولنا وبلادنا الإسلامية منذ معرفة الإنسان الكتابة والتدوين .

ومن المعروف أن أعمق الجذور في تاريخ الوثائق، قد نمت في الأرض العربية، ففي رحابها استقرت وحفظت الوثائق والنصوص المكتوبة منذ آلاف السنين، شاهدة على حضارة عريقة ترمز لما مثلته المعرفة والتدوين والكلمة المكتوبة والوثيقة من أهمية في خلقها .

إن التاريخ العريق للوثائق في الوطن العربي، تاريخ عريق يمتد إلى ما قبل خمسة آلاف عام، وهذا الامتداد التاريخي له علاقة وثيقة بالميراث الثقافي والحضاري لهذه المنطقة، التي تعاقبت عليها مختلف الحضارات . إن الشعوب والأمم التي تولي وثائقها وتراثها الإنساني أهمية كبيرة هي أمة موجودة وفاعلة في بناء الحضارة على اختلاف مراحلها لأن الوثائق زاد حقيقي للشعوب تعود إليه تستشف ما فيه من قيم وأخلاق لتغذي أبناءها بها، فالأمة

بلا وثائق أمة بلا هوية وبلا انتماء، ويعتمد التاريخ على الوثيقة باعتبارها مصدراً أساسياً مهماً يساعد الباحث أو المؤرخ على الوصول إلى الحقيقة الإنسانية والتعبير عن الأفعال والأحداث والوقائع وتسعى بذلك الدول عن طريق هذه الحقيقة للوصول إلى الركب الحضاري وذلك من خلال توثيق تاريخها .

## ماهية التوثيق والوثائق التاريخية

يحتل علم الوثائق منزلة رفيعة ومكانة كبيرة في الحياة الإنسانية لأنه يعمل على حفظ الحقوق طبقاً للقوانين الشرعية، وبه تضبط المراكز القانونية للأشخاص والأشياء . هي صناعة جليلة شريفة فإن علم الوثائق من أجلّ العلوم قدراً، وأعظمها خطراً، إذ به تنضبط أمور الناس على القوانين الشرعية، وتحفظ دماءهم وأموالهم على الضوابط المرعية . إن علم الوثائق يدرس مواد التاريخ عبر المصادر الأصيلة والمادية للتاريخ وبه يتخذ التاريخ لنفسه منهجاً علمياً في التحليل والنقد والبحث عن الحقائق . والهدف من دراسة الوثائق هو تقديم الوثيقة محققة خالية من كل تزوير وصحيحة النسبة إلى عصرها وصاحبها . ومن المعروف أن دراسة الوثيقة التاريخية تقتضي دراسة المادة التي كتبت فيها كالورق أو القماش أو العظام أو البردي، بالإضافة إلى دراسة علامات الإثبات كالأختام والتوقيعات ودراسة اللغة والخط لمعرفة التاريخ الذي كتبت فيه الوثيقة .

ويعتبر علم الوثائق هو الجانب الأهم في يومنا الحاضر نتيجة اهتمام المجتمع بالمعلومات في إطار علوم المكتبات والوثائق، حيث دعت إليه الرغبة الملحة في الاطلاع على المعرفة التي تحملها الوثائق وفهم لجوهرها، والكشف

عن هدفها الأساسي وتيسير الإفادة من معلوماتها الأصلية التي تعد الأصول القانونية التي يجد المؤرخ بين سطورها من الحقائق ما يسد النقص ويستكمل الحلقات المفقودة عند كتابة التاريخ . وتعد الوثائق من المصادر الأصلية والأساسية لدراسة التاريخ والحضارة العربية فهي وسيلة كل باحث يرغب في الوصول إلى الحقائق العلمية في مجال التاريخ والقانون والسياسة والاقتصاد وعلوم الدين والآثار وغيرها من العلوم والمعارف . إن التراث المكتوب في الوثائق والمخطوطات هو القاعدة الأصلية التي ترتكز عليا بنية كل أمة، والوثائق هي الشاهد الأكبر على التاريخ، والدليل الأعظم على السمة الحضارية لأي شعب من الشعوب . فالوثيقة هي ذاكرة الفرد نشأت مع وجوده، وبرزت أهميتها حينما لم تستوعب ذاكرته تفاصيل ما يمر به من أحداث . ولقد أصبح علم الوثائق (الدبلوماتيك) دراسة الوثائق علماً عرف بأنه علم تجميع واختزان وتنظيم المواد والوثائق المدونة لتكون في متناول الباحث والمتخصص والمدون للتاريخ الذي يقوم بتقديم وضخ ونشر وتخزين وتحليل الوثائق التحليل الموضوعي وتنظيمها واسترجاعها في الوقت المناسب لاستخدامها في كشف حقيقة أو دعم حق من الحقوق أو البرهنة على رأي، والاستدلال على حالة من الحالات، وهي مجموعة من العمليات والأساليب الفنية اللازمة لتوفير أقصى استخدام للمعلومات المنشورة في المطبوعات العلمية والفنية والقومية . والوثيقة تطلق على المستند القانوني أو غير القانوني وتسمى الوثيقة الدبلوماتيكية نسبة إلى عالم الدبلوماتيك الذي يدرس دراسة تحليلية نقدية، أي مادة مكتوبة صيغت في قالب أو شكل مناسب للأوضاع الحاضرة . وهي بعد كل هذه التعريفات تعني تلك الوثائق التي تكون لها أهمية تاريخيـة أو قانونية أو مالية . إن الوثائق كمادة تشهد على نشاط الإنسان وتاريخ الحضارات وكانت مهمة الأرشيف منذ الأزل تسمية ترمز إلى وجود نشاط الإنسان ولم يتغير هذا المفهوم اليوم رغم تغير ظروف وشكل وأدوات الكتابة في البداية فالوثائق كتبت

من مادة الصلصال ثم تطورت إلى الورق البردي وإلى الرق ثم إلى الورق المخطوط ثم إلى الورق المطبوع ثم إلى الميكروفورميات أي الميكروفيلم والميكروفيش ثم إلى القرص المرن أو القرص الضوئي .

إن مفهوم الوثائق والتوثيق لغة في المعجم هو وَثُقَ يُوَثِّق وَثاقَة الشيء، ثبت وقوي وكان محكماً، فهو وثيق وهي وثيقة، يقال : وثَّقَ الأمر : أحكمه، ووثَّق الرجل قال فيه أنه ثِقة، ووثُق الشيء وثاقةً ووثقاً، أو أوْثق الشيء إيثاقاً ووثاقاً أي شدَّه لئلا ينفلت .

وقد أصبح للتوثيق في وقتنا الحاضر مفهوم آخر، وهو يعني : مجموعة العمليات والأساليب الفنية اللازمة لتوفير أقصى استخدام ممكن للمعلومات المنشورة في المطبوعات العلمية والفنية القومية منها والعالمية حتى لا ينفق الوقت والجهد والمال على بحوث سبق القيام بهـا في مكان ما على وجه الأرض . وتشمل هذه العمليات تقويم وجمع ونسخ أو تصوير وتحليل وتنظيم وخزن واسترجاع ونشر المعلومات العلمية والفنية وفق احتياجات العلماء والباحثين المختلفة . ويعرف علم الوثائق في اللغات الأوروبية باسم : علم الدبلوماتيكس، وقد اشتق ذلك الاسم من الكلمة اليونانية (Diplom) ومعناها صحيفة مطوية، وقد سميت كذلك لأنها كانت تكتب في الأزمنة الماضية، إما على قراطيس البردي، أو على قطع الرق، أو الورق عندما انتشرت صناعته في العالم، ثم تطوى الصحيفة بحيث تصير ملفوفة، وتحزم أحياناً بشريط من الجلد أو القماش، وقد يختم على هذا الشريط حفظاً للوثيقة من العبث والتزييف .

إذن فعلم التوثيق أصبحت له معاني متعددة، فهو الذي يهتم بضبط أمور الناس عن طريق الإثبات بالكتابة، وأيضاً يقوم بتنظيم المكتبات وضبطها لتسهيل البحث على الباحث، وهو من جهة أخرى ينصب حول دراسة

الوثيقة وهو أمر متعب لأن الدارس لهذا الفن يجمع بين عمل المتخصص في الآثار في حفره وتنقيبه، وبين عمل المحقق الباحث في فك الرموز والطلاسم التي يقدمها محتوى نص الوثيقة .

لقد اختلف العلماء المعاصرون في تعريف الوثيقة بمعيارها التاريخي فلقد عرفها الألماني زمولرس بقوله : "كل ما هو مكتوب أو مرسوم أو مطبوع، الذي يصدر أو يستلم من أي دائرة أو مؤسسة رسمية، الذي تقرر الاحتفاظ به لأهميته وفائدته لتلك الدائرة" . وعرفها الإيطالي يوجينوس بقوله : "التجميع المنظم للوثائق الناتجة عن فعاليات الدوائر والمؤسسات أو الأشخاص، التي تقر حفظها لأهميتها السياسية أو القانونية أو الشرعية لتلك الدائرة أو الشخص" وعرفها الألماني س. أودلف برنيكه بقوله : "كافة الأوراق والسجلات التي وجدت وتجمعت خلال الأعمال القانونية أو الرسمية للمؤسسات الحكومية التي تقرر حفظها بصورة دائمة في مكان معين كمصدر إثبات للماضي" . وعربياً عرفتها أستاذة الوثائق الدكتورة سلوى ميلاد بقولها : "مكتوبات بطريقة وشكل محدد ومعين صدرت عن سلطة عامة أو شخصية معنوية من السلطة العامة بصفتها الوظيفة العامة" أما الوثيقة القانونية أو الدبلوماتيكية فعرفتها بقولها : " مكتوب كدليل قانوني يحتوي فعلاً أو تصرفاً قانونياً صادراً بإدارة المتصرف أو المتصرفين" .

ولقد حظيت الوثيقة بمكانة رفيعة منذ ظهورها . . فلا يكتبها إلا عالم بأصولها وفروعها، مطلع على قواعدها وشروطها وكيفية تسطيرها وترتيبها بعيداً عن اللحن وعن كل ما يمكن أن يؤدي إلى تحريف لفظها، فيتحول بذلك معناها، وتصبح باطلة فارغة من محتواها .

إن الوثيقة بصفة عامة هي كل ما يعتمد عليه، ويرجع إليه للأحكام في أمر، وتثبيته وإعطائه صفة التحقق والتأكد من جهة، أو ما يؤتمن على وديعة

فكرية أو تاريخية تساعد في البحث، أو تكشف عن جوهر واقع ما، أو تؤكد عقداً بين اثنين أو أكثر والمعنى العام للوثائق اصطلح على أن الوثائق في معناها العام هي كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية .

إن المعنى الدقيق للوثائق في الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية مثل الأوامر والقرارات والمراسيم والبراءات والاتفاقيات والمراسلات السياسية، والوثائق الشرعية، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة أو عادات الشعوب أو نظمهم وتقاليدهم أو المشروعات أو المقترحات المتنوعة التي تصدر عن المسئولين في الدولة أو التي تقدم إليهم أو المذكرات الشخصية أو اليوميات .

والوثيقة، مع تعدد مصادرها، واختلاف أنواعها، وتباين عصورها، وتفاوت لغاتها هي عامل فعال في خدمة الحضارة الإنسانية لأنها ضمير الشعوب وعنوان بارز في تاريخها حتى إذا قدر لهذه الشعوب أن تحفظ هذه الوثائق بأنواعها غدت الذاكرة الواعية، كما أضحت سجلاً حافلاً لتقدمها وتطورها فإذا هي رافد غني وأساسي، ورسالة تواصل بين أجيال مختلفة فضلاً عن أنها عبرة للماضي، ومدخل لاستقرائه من أجل بناء المستقبل .

ومن المفيد أن نذكر أن التعريف المعاصر للوثيقة، الذي اعتمد في بيان يوم الوثيقة العربية هو أنه كل وعاء حامل للمعلومات، أياً كان شكله ونوعه، بدءا من الوعاء الورقي حتى الوعاء الإلكتروني، بحيث يشمل جميع أنواع الوثائق المقروءة كالمخطوطات والكتب النادرة والمعاهدات والخرائط والوثائق والقرارات والمراسلات ومذكرات الشخصيات الوطنية، والصحف القديمة، والنشرات السياسية الإدارية والتعاميم المهمة، والمسموعة كالتسجيلات الصوتية ذات الدلالات المهمة والمجسمة كاللوحات الخطية مثل الصناعات اليدوية القديمة والمرئية كالصور الفوتوغرافية والأفلام والشرائح الميكروفيلم والوثائق الإليكترونية

هي المحفوظة على الحاسوب أو على أقراص مرنة، أو أقراص C.D.ROM .
وتنقسم الوثائق بشكل عام إلى ثلاثة أقسام اعتماداً على درجة نشاطها واستخدامها وفقاً للمراحل الزمنية التي تمر بها، فالوثائق التاريخية هي المرحلة الثالثة والأخيرة للوثيقة وهو موضوع هذه الدراسة . فالوثائق في مرحلتها الأولى النشطة تستخدم بشكل متكرر في العمل اليومي للمؤسسة الحكومية والخاصة أو بين الحين والآخر . وفي مرحلتها الثانية غير النشطة تنتقل فيها الوثيقة من مرحلة الاستعمال أو الرجوع المتكرر إلى المرحلة التي يكون فيها الرجوع إلى هذه الوثيقة قليلاً وبشكل متباعد، وفي هذه المرحلة تحفظ الوثيقة في أرشيف خاص داخل المؤسسة المنتجة لها .

إن الوثيقة التاريخية تعتبر تاريخية متى ما كانت تحتوي على أهمية تاريخية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو علمية بحيث يمكن الاستفادة منها عند الرجوع إليها بعد فترة طويلة من الزمن تحسب وفقاً للمدد التي تحددها كل دولة وعادة ما يتم فرز وتقييم الوثائق بعد مرحلتها غير النشطة لتتحول إلى وثيقة تاريخية إذا كانت بالأهمية .

منذ أن خلق الله تعالى الإنسان، وعلمه البيان، كان طلب العلم ضالته المنشودة، وإحدى حاجاته الأساسية، من أجل أن يعرف نفسه ويعرف عالمه، ولقد تعلم الكثير وحفظ الكثير حتى ضاقت حافظته فاخترع الكتابة معينا لذاكرته، تحفظ خبراته ومعارفه عبر الزمن وتنقلها للأجيال الآتية من بني جنسه، فكتب على الأحجار وعلى جدران الكهوف وعلى الطين وعلى البردي وجلود الحيوانات، وعلى كل شيء يصلح أن يكون وعاءً للمعلومات . وعندما تكاثرت هذه الأوعية تفرغ ممن يمتلكون حب العلم والكفاءة لترتيب وتنظيم تلك

الأوعية بطريقة تمكن من الاستفادة منها . وجاء الموثقون يجرون عمليات البحث والتنقيب والتنظيم لهذه الأوعية .

إن بدايات التوثيق تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، أي أن بدايات التوثيق سبقت التدوين الكتابي، ذلك أن التوثيق بمفهومه الواسع، أي حفظ الأحداث التاريخية والمعلومات العلمية ونقلها إلى الأشخاص الذين يمكنهم الاستفادة منها، ينطبق أيضاً على التناقل الشفاهي للمعلومات والمعارف والمهارات، وكمثال فإن الشعر الجاهلي أسهم في توثيق تاريخ العرب في الإسلام .

ومن المعروف أن المسلمين اهتموا بالتوثيق منذ نزول الوحي، فكان رسول الله ﷺ كلما نزل عليه من القرآن شيء دعا من يكتب له فيأمر بكتابته، ويقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يعينها لهم، ثم انكب السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ على السنة النبوية المطهرة، وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم .

لقد مارس المسلمون التدوين منذ صدر الإسلام وسجلوا تصرفاتهم في وثائق وذلك راجع إلى تزايد أعداد المتعلمين الذين يجيدون القراءة والكتابة، نتيجة للجهود التي بذلتها الدولة الإسلامية لحاجتها إلى المثقفين الذين يقومون بنشر تعاليم الدين الإسلامي وشرح مبادئه .

لقد بدأ الجهد الوثائقي العملي لهذا التوثيق، واستمر يتطور مع تطور الإنسان وازدهار حضارته، والتزم الحكام وذوو الأمر بتشجيع هذه المهنة العلمية وإقامة مؤسساتها المختلفة من دواوين ودور وثائق وغيرها، وأغدقوا العطايا على القائمين عليها .

للتوثيق أهمية كبيرة في تنظيم سير المعاملات وإقامتها على أساس وطيد، لكشف نوايا المتعاقدين أو المتصرفين واضحة جلية في معاملاتهم، والمحافظة على المحررات التي تثبتها وصيانتها على مر الأيام، لأن إثبات التصرفات

والعقود والوثائق والتصديق على التصرفات القانونية الواردة فيها والحكم بصحتها ولزومها لتكون لها الصفة الرسمية والقوة التنفيذية يكفل تحقيق الطمأنينة التامة على الحقوق، واستقرار المعاملات، وإغلاق باب الشر والمنازعات .

إن الوثائق شواهد حقيقية دامغة على حضارات مرت واندثرت، وأخرى استمرت في التطور والنشوء، فالوثائق أدت دوراً مهماً وحساساً في مختلف مراحل الحضارة الإنسانية، إن العناية بالوثائق التاريخية تعد الأهم أولوية، والأكثر خطورة من باقي الأوعية المعلوماتية، فدور الوثائق ومراكزه ومكتباته وأرشيفاته في جمعها للتراث الوطني، لا تتعديان دور التوثيق والتعريف بالسمات فقط، غير أن الوثائق التاريخية تتعدى ذلك إلى معرفة حياة الأمم وشئونها، فضلاً عن علاقاتها بأمور السيادة المعاصرة، الأمر الذي يجعلها مصدراً للمعلومات التي تعتمد عليها الدولة مهما تقادم عليها العهد، أو انتمى إلى عصور مختلفة، ويعد التوثيق أيضاً من الأمور التي اهتم وعني بها علماء المسلمين عناية شديدة منذ أن دونت العلوم الإسلامية .

ولقد ترك لنا العرب خلال القرون السابقة تراثاً فكرياً ضخماً قد لا نجده عند أية أمة من الأمم، وكل تلك الوثائق من المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها، وهي في حد ذاتها ثروة تراثية وإنسانية وفكرية وأساس لتطوير الحياة .

## أنواع وأشكال الوثائق التاريخية

وتتنوع الوثائق بتنوع موضوعاتها وتعدد مجالاتها إلى وثائق شرعية ووثائق إدارية ووثائق قانونية، وهي تختلف عن بعضها شكلاً ومضموناً، لا من حيث إجراءاتها ولا من حيث كيفية تنفيذها .

**الوثائق الشرعية** . . وتتضمن عديداً من الوثائق، مثل وثائق الزواج والطلاق والحضانة وغيرها .

**والوثائق الإدارية** . . وقد تكون عبارة عن دراسات وتقارير، أو إحصائيات أو أدلة وفهارس، وقد تكون عبارة عن أشرطة أو أقراص ممغنطة، أو أفلام أو جذاذات، ويكون التوثيق الإداري على مستوى الإدارة، سواء كان محلياً أو مركزياً، ويشمل مختلف مناحي المعرفة .

**أما الوثائق القانونية** . . وهي كل مادة مسجلة تحتوي على عمل قانوني أو واقعة قانونية أو العمل القانوني الذي هو محتوي الوثائق، عمل إداري يراد به إحداث التزام أو تعديله أو إلغاؤه، ويمكن الفصل فيه أمام القضاء . فالوثيقة إذن لها صفة قانونية، إذ يمكن أن تتخذ حجة أمام القاضي، ومثال ذلك عقود البيع والشراء والإقراض والهبة بين الأفراد، أو أوامر التعيين والأوامر الإدارية التي تصدرها السلطة التنفيذية أو الهيئة الحاكمة . وإذا تناولنا الوثيقة من حيث نوع المادة فهي تتخذ الأنواع التالية :

**الوثيقة الكتابية :**

وهذا النوع هو الذي يعتد بـه، ويعتمد عليه لأنه يقوم على واقع ثابت لا يحتاج إلى دراسات مطولة، أو اجتهادات، أو خبرات خاصة قائمة على الترجيح أو التخمين . ويقصـد بالوثيقة الكتابية كل مادوّن كمخطوط أو مطبوعة .

**الوثيقة التصويرية :**

والتي تعتبر في علم التوثيق وثيقة مساعدة، بمعنى لا يعتد بها وحدها ويعتمد عليها لأن الجوهر فيها موضع ترجيح وتشكيك، ولا ينظر إليها إلا في

حالة استطاعت أن تنير جانباً من البحث، وهكذا تساعد على التحقيق والكشف .

**الوثيقة التشكيلية :**

وتعتبر هذه الوثيقة كسابقتها في إطار الوثائق المساعدة وربما جاءت في منزلة الوثيقة التصويرية لأنها مماثلة لها في كثير من المقومات، وغالباً ما يكون لها قيمة مالية كبيرة خصوصاً عندما تكون قد صيغت بيد أحد المشاهير في العلوم التشكيلية .

**الوثيقة السمعية أو المرئية :**

وهي عبارة عن تسجيلات صوتية أو إذاعية، أو تسجيل اسطواني، أو شريط سينمائي ناطق .

## الأرشيف الذي يضم الوثائق الشفهية أو التاريخ الشفهي

الوثائق من حيث الشكل هي عبارة عن مكتوب مفرد يتضمن تصرفاً أو فعلاً قانونياً واحداً، وهي مكتوبة على الورق، لانتشار استخدامه في ذلك العصر، وكان إما يصنع محلياً أو في الشام أو في أوروبا، والعلامات المائية الموجودة على الورق تشير إلى ذلك، والوثيقة المفردة في العصر العثماني مثلاً كانت إما لفافة أو مطوية بمقاسات مختلفة وهو الغالب، أو المجلد الدفتري، أو السجل وهو مجموعة من الوثائق المدونة في شكل دفتري مجلد مخطوط، دونت هذه الوثائق تباعاً يوماً بيوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة . وعادة يشتمل السجل على نسخ للوثيقة الأصلية المفردة بالإضافة إلى وحدة من وحدات حفظ الوثائق وهي أكبر من الوثيقة المفردة وأصغر غالباً من السجل، وهو عبارة

عن عدة وثائق مفردة جمعت معاً في ملف أو محفظة ذات أربطة، وتدور كلها حول موضوع واحد، أو حادثة أو سنة معينة .

ومن الأشكال أيضاً الوحدة الأرشيفية المتكاملة وهي كل الأشكال المشار إليها مثل الوثائق المفردة والسجلات والملفات المدونة الناتجة عن نشاط جهة ما، وقد أودعت في تلك الجهة أو لدى أحد موظفيها المختصين، وهي كيان عضوي نما وكبر وانتهى بحكم ممارسة الجهة لأنشطتها واختصاصاتها .

### الوديعة الأرشيفية أو المتكاملات المنظمة :

وهي مجموع المتكاملات التي تمثل أنشطة جهات معينة معاصرة تنتمي لنظام معين، مثل المتكاملات الأرشيفية للمحاكم العثمانية تمثل الوديعة الأرشيفية للقضاء في العصر العثماني والمتكاملات الأرشيفية للديوان الدفتري والمالي .

لقد كانت الوثائق بتلك الخصائص والميزات هي الناقل الرسمي للحضارات وتفاعلها، ودون الوثائق لن نعرف شيئاً عن هذه الحضارات التي مرت بها الإنسانية . فما الوثائق التي خلفها لنا أجدادنا إلا دليل حي وباق على عظمة تلك الحضارات القديمة وسر تطورها، فهي الوسيلة الشرعية لتوصيل المادة الفكرية لكل هذه الحضارات .

## دور الوثائق في إبراز الهوية والحضارة الإنسانية

كيف يمكن أن تكون الوثائق عاملاً مساعداً لإبراز هويتنا وحضارتنا ؟ هناك أربع مراحل أساسية يجب الالتزام بها وهي كالتالي :

**المرحلة الأولى** : تبدأ بإقرار المفاهيم والتعريفات الوثائقية

فالمفاهيم لابد وأن تعتمد الشمولية، وتستند في فعلها إلى المكان ومنشأه التاريخي، وتعود إلى منشأ الوعاء، وأهميته، مهما قرب أو بعد في الزمن .

والوثيقة الرسمية . . والتي هي كل عمل يحتوي على فعل قانوني موثق يرتبط بأرض الوطن ومواطنيه صادراً من جهة رسمية، أينما كانت وفي أي زمان كان، واتفق على مفاهيم الوثائق العامة والخاصة من حيث القيمة، حتى تندرج في إطار الوثائق الواجب حفظها .

**المرحلة الثانية** : صياغة الأنظمة والقوانين وتجسد الأنظمة المفاهيم العامة بوضع آليات التعامل مع الوثائق الوطنية في الجمع، وفي التنظيم، وفي ضوابط الاستفادة .

**المرحلة الثالثة** : استكمال التجهيزات المادية والبشرية .

وتدخل فيها المباني والمنشآت، وأعداد الكوادر، وآليات العمل، والتوصيف الوظيفي، وأدوات العمل وتأهيل العاملين والصيانة .

**المرحلة الرابعة** : التطوير وهي مرحلة أخيرة يتم من خلالها تطوير آليات العمل وأدواته، ومتابعة المستجدات وتفعيل دور المؤسسات المعنية بالوثائق بكل كفاية .

إن الوثائق تلازم الفرد منذ ولادته فهي أول وثيقة يحتفظ بها . وتمثل الوثائق بالنسبة للمؤسسات بمختلف أشكالها وألوانها أهمية خاصة : فهي كيانها ووجودها وذاكرتها وتاريخها . ولقد تزايدت أهمية الوثائق في عصر المعلومات ولذلك كان لابد من حفظها بطريقة علمية تسهل الحصول عليها عند الحاجة إليها .

والسؤال : لماذا تأخذ الوثائق كل هذا البعد الحضاري في أهميتها ؟

إن البعد الحضاري للوثائق تمثل منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر باعتبارها من أهم مصادر المعلومات الوطنية وهي مصادر معلومات احتلت أهميتها عند جميع الأمم السابقة .

وليس أدل على ذلك أن ما عرف مما ساد في الحضارات القديمة في بلاد مابين النهرين، وفي مصر القديمة، وفي اليونان، وما كان في حضارات العصور الوسطى، لم يكن ليعرف إلا من خلال الوثائق والسجلات الرسمية .

ولعل من حسن حظ البشرية أن تكون أوعية المعلومات آنذاك مما يمكن أن يبقى مقاوماً لعوامل الزمن، فوصل إلينا ما وصل، شاهداً على ما كان يجري في تلك الحضارات القديمة .

## الوثائق في التراث والثقافة الإسلامية

عند بزوغ فجر الإسلام في الجزيرة العربية كانت العناية على أشدها في الوثائق والأوراق الرسمية . ولعل أمهات الكتب القديمة والتاريخية والمعنية بمصادر السيرة النبوية، صورت مدى عناية القادة في صدر الإسلام بالوثائق، فالرسول ﷺ والخلفاء الراشدون ﷺ ، ظهر مدى اهتمامهم بالوثائق والأوراق الرسمية، والرسائل والمواثيق والعهود، والتدوين، وهو ما دفع بالخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ لإنشاء ديوان الإنشاء والمكاتبات، حتى صارت الأمور نمطاً أخذت بـه الدول الإسلامية من الأمويين فالعباسيون فالفاطميون والأيوبيون والمماليك والعثمانيون حتى قيام الدول الحديثة .

إن كل خلافة أو دولة من تلك الدول خلفت من مصادر المعلومات الوثائقية سواء في مواقع سلطاتها المركزية، أو في أقاليمها الممتدة، كمّاً هائلاً من الوثائق

والسجلات التي تنظم أمور لناس الحياتية كمصادر السيرة، ومصادر دواوين الإنشاء والمكاتبات، التي حفظت الكثير من النصوص، مما يمكن أن تكون مادة للجمع والتبويب للوثائق التاريخية .

## الوثائق كأساس
## ومصدر للمعلومات والمعرفة الإنسانية

إن الاهتمام بالوثائق كأساس للمعرفة الإنسانية يرجع إلى التاريخ القديم، فالحضارات القديمة اهتمت بتسجيل المعلومات وتوثيقها وحفظها . فالحاجة إلى الوثائق قديمة قدم الحضارة الإنسانية، والجديد هو الوسائل وطرق الحفظ الحديثة التي تكفل المحافظة على الوثائق وصيانتها وتنظيمها بحيث تكفل سرعة الوصول إليها عندما تدعو الحاجة إليها، وتنظيم تداولها .

"إن الوثائق تجارب تفيد، وحضارات تتفاعل، وقيم تترسخ" إن هذا الشعار الذي رفعه الباحثون والمتخصصون في مجال الوثائق يدعو لتحسين أساليب العمل التوثيقي في مؤسساتنا وأجهزتنا الحكومية باعتبار أن الوثائق هي المصدر لكل المعارف والعلوم والخبرات والتجارب الإنسانية في الحضارة . ولن يتأتى ذلك إلا من خلال التأكيد على دور الجهات المعنية بحفظ الوثائق ومن خلال وحدات مستقلة ذات تنظيم هيكلي إداري وفني يتم فيه تنظيم الوثائق والإعداد لها علمياً وعملياً وهذا ما يتم حالياً بدعم ومساعدة من الجهات والمؤسسات الخدمية والخاصة والأفراد في الدولة .

ومع تطور تقنيات الاتصال، ومع اتساع طفرة وثورة المعلومات، بفضل الشبكة العنكبوتية العالمية، اكتسبت الوثائق التاريخية قيمة جديدة حيث أن

العلماء والباحثين أخذوا باستخدام بعض الآليات التي تعينهم على الرجوع إلى المعلومة المطلوبة من خلال استخدام الفهرسة والتكشيف التي قادتهم لعمل قوائم برؤوس الموضوعات واستنباط الكلمات الدالة على موضوعات البحث مما شكّل دافعاً قوياً ليكون هناك كنز للكلمات ومرادفاتها لكي ييسر عمليات البحث والتقصي عن جزئية لا يمكن الوصول لها دون استخدامه، خصوصاً عندما دخلت التقنية الحديثة التي تعتمد على استخدام الأدوات الحديثة من حاسبات آلية ونظم تطبيقية ومصغّرات فيلمية ووسائط حفظ مختلفة ساعدت الباحثين والعلماء على الوصول إلى تلك المعلومة بأقل جهد وأسرع وقت وأقل تكلفة، وهذا ما يهدف له علم التوثيق بنهاية المطاف وتهدف له الدراسات الأخرى وهو التعرف على علم التوثيق منذ نشأته، وكذلك التعرف على بعض الدراسات والأبحاث المقدمة من قِبَل مجموعة العلماء والمختصين .

## أهمية الوثائق في الدراسات والأبحاث

للوثائق أهمية بالغة لكل الدراسات والتخصصات والمجالات المختلفة، فهي تلقي الضوء على ما يمكن أن تضيفه هذه الوثائق من حقائق جديدة ومعلومات متميزة عن التاريخ الإداري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، كما أنها تمد دارسي الوثائق بمعلومات وفيرة ومتنوعة تفيد في وضع قواعد علم الوثائق العربية وأسس تحقيقها ونشرها من الواقع، كما أنها مجال خصب وجديد ومتميز للحصول على معلومات تخدم المتخصصين في شتى المجالات كالقضاء والقانون والميراث والآثار والمسكوكات والأختام وغيرها . تساهم الوثائق التاريخية في تطور الدراسات الإنسانية . وتسهل أيضا في استشراف المستقبل

والإعداد له . وفي أعراف الشعوب والدول، تعتبر الوثيقة التاريخية جزءاً لا يتجزأ من السيادة القومية، لذلك كانت هدفاً دائماً للتزوير والسرقة والتدمير .

الوثيقة التاريخية لا تشمل فقط المكتوبات، بل هي كل شيء يشير إلى تاريخ أو حضارة معينة، فالنقش في الحجر والمعدن والورق أو الرسومات أو الزخرفات أو حتى مخربشات، كلها نصوص تاريخية تقدم لنا جانباً من حقبة تاريخية، وعليه فهي تكتسي أهمية خاصة، إنها خزائن للوثائق على اعتبار أن كتابة الوثائق سبقت تدوين الكتب، لأنها تخدم أمور الناس الحياتية . ولقد أثبت التاريخ أن الوثيقة المكتوبة سبقت الكتاب، وقد تفضل بعض الدول تضمين كنوزها المعنوية في وثائق متفرقة على جمعها في مؤلفات ضخمة، ربما لسهولة التعامل معها وتناقلها بين الأجيال وعادة ما تتم عمليات تزوير الوثائق بيد أشخاص خبراء في قلب الحقائق، وقد سجل التاريخ عمليات كثيرة لتزوير وثائق خطيرة ، ولا يزال النقاش حامياً بين المختصين والباحثين حول عدد من الوثائق التاريخية التي تعتمد عادة في الدراسات التاريخية، فمثلاً خطبة طارق بن زياد عند عبوره إلى الأندلس تعرضت لانتقادات قوية مست صحتها وانسجامها مع الظروف التاريخية التي أحاطت بها . بينما هناك من دافع عنها واعتبرها سليمة، وبالتالي تبقى صحة الوثيقة رهينة بمدى استجابتها لشروط السلامة وإجماع المختصين على ذلك .

إن قضية إخفاء الوثائق وتغييبها جعل الباحثين يسألون لماذا اشتهرت وثائق بعينها وانزوت أخرى حتى اختفت ؟ ما هي تقنيات الحذف وأنماط الاستبعاد والطي التي أدت إلى فقدان الكثير منها مبكراً ؟

والمستوى الثاني للتزوير هو الاعتداء على الوثيقة التاريخية ومستوى السرقة، فمن المعروف أن أكبر هدف للمهربين ولصوص التراث هو الوثائق النادرة التي تحمل في طياتها معلومات هامة، أو تنتمي إلى حقبة تاريخية قديمة . أما المستوى الثالث الذي يبرز في الاعتداء على الوثائق والمصادر التاريخية فهو مستوى التدمير والإبادة الكاملة، ويظهر في حالات الحروب والاحتلال، ومن أشهر جرائم تدمير المصادر التاريخية ما قام به المغول في العالم الإسلامي عند دخولهم بغداد، فقد تعرضت المكتبات فيها للتدمير الكامل على أيدي المغول، وألقوا بجميع محتوياتها في نهر دجلة حتى تحول ماء دجلة إلى اللون الأسود، وهو لون المداد المستخدم آنذاك . وقد دمر المغول، بالإضافة إلى مكتبة بيت الحكمة، ٣٦ مكتبة عامة أخرى في بغداد .

## قراءة للأبعاد التاريخية لتحليل ومعالجة الوثائق

عند تحليل ومعالجة الوثيقة لابد من البحث عن الوثائق وتصنيفها مع الاستعانة بالعلوم المساعدة لذلك، فعلى المؤرخ أن يكون موسوعي الثقافة متخصصاً عارفاً بالعلوم المتصلة بالتاريخ، وتبدأ مرحلة النقد بإثارة التساؤلات حول الوثيقة، هل الوثيقة صحيحة ؟ ما مصدرها ؟ من مؤلفها ؟ ومن أين جاءت ؟ ومن جاء بها ؟ وذلك للتحقق من صدق الوثيقة وكل ذلك بهدف استخراج الحقائق التاريخية عن طريق التحليل الاستقرائي لمضمون الوثيقة . وهناك من المؤرخين من يرى أن التاريخ ليس علماً، لأنه يقوم على الفهم ومعرفة الآخر وعلى تأويل النوايا البشرية، باعتبار أن الحقيقة التاريخية

ليست معطى يمكن الكشف عنها وعرضها، بل المؤرخ يقوم بمساءلة تلك الحقيقة، وإعادة تنظيمها فهو يقوم بالاختيار . ولا يمكن قراءة التاريخ دون الرجوع إلى المستندات الموثقة لأحداثه ومساراته ومحطاته . ولا يمكن تصور تاريخ البشرية من دون مثل هذه الوثائق . وإذا كان البعض يعتبر الوثيقة مرآة للتاريخ، والبعض الآخر يرى فيها نبض حركة الجماعة أو الفرد في حقبة قديمة، فإن افتقارنا إلى وثائق كافية عن معظم المراحل التي مرت بها البشرية ضاعف من أهمية الوثائق النادرة المتوافرة، أو التي لا يزال يعثر عليها بين الحين والآخر، وفي هذا السياق أنشئت المراكز والدواوين المتخصصة، وشكلت الكثير من فرق الخبراء للتحقيق والعناية بهذه الكنوز المعرفية، وكان هذا الاهتمام سمة من سمات هذا العصر، ولاسيما بعد ظهور مؤسسات مجتمع المعلومات، ودعوتها بالحفاظ على التراث الإنساني والحضاري باعتبار أن الوثائق هي عمادها .

**ولمعرفة الوثيقة وتحليل ما بها من معلومات لابد من المرور ببعض المراحل وهي :**

**مرحلة فهم الوثيقة** . . وتتطلب هذه المرحلة قراءة الوثيقة قراءة متأنية أكثر من مرة بحثاً عن مقاصدها وفهمها فهماً جيداً وتحديد العناصر المكونة للوثيقة إذا كانت صورة أو رسماً واستخراج أهم الأفكار والمعاني والمقاصد الواردة بالوثيقة مع ضرورة ربطها بالأسئلة المصاحبة .

**مرحلة التخطيط** . . وتتطلب هذه المرحلة وضع تخطيط للوثيقة والبحث عن المعلومات وتجميعها وتوزيعها بعد تبويبها مع تجنب التكرار والحشو الزائد ثم ضرورة التفسير والتحليل والشرح للوثيقة .

مرحلة التحرير . . وهي عنصر أساسي وضروري وتتضمن تحرير طبيعة الوثيقة وموضوعها ومصدرها وظرفها المكاني والزماني والأفكار الرئيسية لها .

# القيمة والبعد التنظيمي للوثائق الحكومية في عمان

إن الحكومة بشكل عام، هي المنتج الرئيسي للوثائق ذات الاستخدامات العامة، وهي غالباً، خاصة في الدول النامية المنتج الوحيد للمعلومات الاقتصادية والاجتماعية، وهي المورد لخدمات الوثائق إلى الجمهور وقطاع الأعمال . إن الحكومات الحديثة قد جعلت من أمر جمع الوثائق التاريخية والرسمية وتنظيمها والإفادة منها شأناً من شئون الهوية الوطنية .

**ماذا يحصل عند اكتمال البنية المادية لعمل الوثائق في الدولة ؟**

يفترض أن تحقق فيها الغايات الثلاث للوثائق الرسمية لنشاط الدولة وهي تجميع الوثائق الرسمية، وتنظيم الوثائق الرسمية وإعداد الوثائق الرسمية للاستخدام في العمل الحكومي الجاري أو البحث التاريخي .

ولدراسة وتنظيم الوثائق لابد من دراسة مستندات ووثائق المنشأة، ولن يتأتى لنا ذلك إلا بعد حصر النشاطات الرئيسية لتلك المؤسسات والذي لن يتأتى إلا بدراسة هياكله التنظيمية . ولقد بدأت مرحلة التأسيس والتطور في حفظ الوثائق الحكومية بعد عام ١٩٧٠م مواكبة تطور ونمو الجهاز الإداري للدولة بوزاراته ودوائره ومؤسساته باعتباره أفضل الوسائل لتنفيذ القوانين والتعليمات والمراسيم، حيث بدأ التنفيذ الفعلي والعملي لترسيخ النظام

الأساسي للدولة، وقبل عام ١٩٧٠م لم يكن ثمة في عمان ما يمكن أن يسمى حكومة أو جهازاً إدارياً .

وقبل عام ١٩٧٠م تميزت تلك المرحلة بعدم وجود جهاز إداري متكامل، وذلك نتيجة لاقتصار الدولة على ممارسة الوظائف التقليدية، كالدفاع والأمن والعدالة وجباية الضرائب، والتي اعتمدت في أداء خدماتها على أساليب بسيطة، لذلك فإن عقد السبعينات هو نقطة التحول الكبرى في تنظيم الوثائق في السلطنة، حيث بدأت تجربة التخطيط الإداري والتنموي والتي اعتمدت على أهداف أساسية طويلة المدى ومنها بناء هياكل البنية الأساسية لمؤسسات الدولة، والاهتمام بتنمية الموارد البشرية المحلية وتطوير الجهاز الإداري للدولة ورفع كفاءته .

ويعتبر التنظيم الإداري للدولة في عمان خلال الفترة من ١٧٤٤ إلى عام ١٩٧٠م والتي حددها أحد الباحثين في ندوة عقدت في جامعة السلطان قابوس في سبتمبر ١٩٤٤م بدءاً من عام ١٧٤٤ هو أحد المظاهر الحضارية التي ارتبطت بفترات ازدهار الدولة العمانية، حيث توضح الحقائق التاريخية أن ثمة علاقة تبادلية بين هذا الازدهار ونوعية التنظيمات الإدارية الموجودة ودرجة الكفاءة والفاعلية لمؤسسات الدولة وأجهزتها المختلفة، وهذا ما تؤكده بالفعل نتائج تحليل دراسة التراث التاريخي العماني في الفترات والسنوات الأخيرة .

إن عام ١٧٤٤م يعتبر هو بداية إنشاء الدولة "البوسعيدية" وتتميز فترة الحكم هذه بالعديد من المميزات والخصائص التنظيمية التي كانت بمثابة المقومات الأساسية التي أسهمت بالفعل في ازدهار الدولة العمانية في العديد من النواحي الإدارية والتنظيمية ويعود الفضل إليها في إدخال مجموعة من

الأساليب الإدارية الجديدة للدولة، وبالتالي لابد من المزيد من الوثائق المتداولة في تلك الفترة .

ويتضح جليا عند تناول التاريخ تنظيم مؤسسات الدولة في عمان من قبل الباحثين تناول الصفات الشخصية للحكام من شجاعة وكرم وبراعة إدارية وانتصار للحق والعدل دون ما يثبت مميزاته وصفاته الإدارية بتدعيمها بالوثائق من قرارات مكتوبة مثلاً، فلقد اهتم الإمام أحمد بن سعيد بتعيين القضاة وبناء الجيش وأسطول بحري وتنظيم النشاط التجاري وترتيب النظام الجمركي . تلك كانت أهم ملامح التنظيم الإداري في ذلك العهد، ومازال افتقار الباحثين للوثائق المكتوبة يواجه صعوبة البدء بتوضيح التنظيم وأساليبه .

ولقد توالت فترات حكم الآخرين ممن ساهموا بالاهتمام بتنظيم الدولة كبناء الأساطيل العسكرية وتحقيق عوائد عالية للموارد المالية وخاصة في عهد السيد سلطان بن أحمد (١٧٩٢م)، وقام بعده سعيد بن سلطان خلال فترة حكمه عام (١٨٠٤م) باستحداث الكثير من النظم الإدارية والتنظيمية من النواحي العسكرية والقضائية والتجارية والاقتصادية .

ولقد اهتم حكام الدولة البوسعيدية بتطوير البناء التنظيمي للدولة خاصة تحت حكم السيد ماجد والسيد برغش، وتحت حكم السلطان تركي بن سعيد عام (١٨٧١م) حيث كانت المساهمة في تحديد طبيعة البناء الإداري للدولة والذي استحدث الكثير من النظم الإدارية التي تم بها تنظيم الجهاز الإداري للدولة واعتبرها بعض المحللين إعادة تنظيم للمؤسسات، حيث تم الجمع ما بين النظم التقليدية الموجودة والأساليب الإدارية الحديثة .

وعندما تولى السلطان تيمور بن فيصل عام (١٩١٣م) كان قد ورث العديد من المشكلات المالية والاقتصادية عقب وفاة السلطان فيصل بن تركي، لذلك فقد أسهم الكثير من الظروف مجتمعة في تشكيل نوعية التنظيم الإداري للدولة العمانية .

ومع بداية العشرينات سعى السلطان تيمور في تدعيم الموقف المالي للدولة وتطوير الإدارات الحكومية ورفع كفاءتها بالرغم من احتفاظها بكثير من سماتها التقليدية الإدارية السابقة، حيث استقدم ثلاثة من الخبراء المصريين لتطوير نظام الجمارك في مسقط، كما شكل أول مجلس للوزراء في تاريخ عمان برئاسة نادر بن فيصل، ولم يلبث أن عين ولده السيد سعيد رئيساً لمجلس الوزراء وذلك من عام (١٩٢٩م) . وتولى السيد سعيد بن تيمور إدارة البلاد عام ١٩٣٢م بعد أن تنازل له والده عن الحكم .

ولقد تمكنت الدولة في عمان من خلال الجهود المكرسة بعد عام ١٩٧٠م من تكوين وتطوير إدارات حكومية ومؤسسات عامة متكاملة ومتفاعلة، ولقد صاحب ذلك تشريع مجموعة من القوانين والأنظمة، حيث تم تكوين وتنظيم أول جهاز إداري للدولة عام ١٩٧٥م، وحددت اختصاصاته ووحداته المختلفة وسلطات واختصاصات المسئولين عن وحداته بما يكفل التكافؤ بين هذا الجهاز والخطط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

إن الوحدات الحكومية التي استحدثت خلال الأشهر الأولى من بدء إنشاء الحكومة العمانية عام ١٩٧٠م شكلت عماد الجهاز الإداري الجديد، إلى أن بلغ عددها في نهاية عام ١٩٧٤م ١٤ وزارة .

وفي عام ١٩٧٥ شهدت الدولة التطور الفعلي والأساسي لبناء الدولة العمانية حيث تميزت بإصدار قوانين تنظيم مرافق الدولة بإصدار قانون تنظيم الجهاز الإداري للدولة بالمرسوم السلطاني رقم ٧٥/٢٦ وقانون الخدمة المدنية بالمرسوم السلطاني رقم ٧٥/٢٧ . وبصدور هذين القانونين تكون جهود الدولة قد أسفرت عن صدور أول تشريع متكامل وشامل، ومن هنا استطاعت الأجهزة الحكومية المختلفة في السلطنة تحقيق تغييرات جوهرية وإنجازات كبيرة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، حيث كان الاستقرار الذي نعمت به الدولة قد أتاح لها تحقيق الكثير من الإنجازات وبالتالي أصبح هناك كم من الوثائق المتداولة في الدولة في تلك الفترة .

لقد جاءت ملامح البناء التنظيمي والإداري لعمان في كثير من الفترات تعكس الظروف والأوضاع التي كانت تعيشها في فترات حكامها، لذلك اهتمت الدولة الحديثة بعد عام ١٩٧٠م بتغيير النظام التقليدي وبناء النظام الإداري الحديث والذي يقوم على أحدث النظم الإدارية الحديثة والمتطورة في حفظ وثائقها وتنظيم أرشيفها الحكومي .

والمتتبع لتاريخ إنشاء القوانين الإدارية للبلاد يجدها مرتبطة باحتياجات الدولة إلى جهاز إداري كبير للمساهمة في عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، حيث خضع الجهاز الإداري للتعديل والتطوير نظراً للتوسع الذي حصل في حجمه ونتيجة لزيادة مناشطه وأعماله وبالتالي زيادة عدد وحداته الإدارية، وزيادة تدفق أوراقه ووثائقه نتيجة نشاطه . وبقدر ما نجحت مؤسسات الدولة في تنظيم أمورها بعد إصدار قوانين التنظيم في تلك الفترة بقدر ما نجحت في ضبط وتنظيم وثائقها، وإيجاد وبناء إدارات معنية بحفظ أوراقه،

وهو الجانب الهام في موضوع هذه الورقة، فالمعلومات في تلك الوثائق ما لم تسبقها عملية ترتيب منظم فستقل درجة الاستفادة منها ولن تتوافر لنا بالقدر الكافي مثلما حدث في الفترة الأولى من التنظيم الإداري للدولة قبل عام ١٩٧٠م، حيث ضاعت وثائقنا الإدارية الجارية لسوء التنظيم وعدم وجود ضوابط تكفل حفظها وتوثيقها .

وهنا نذكر ونقول أنه في نهاية المرحلة الأولى من تاريخ تنظيم مؤسسات الدولة في عمان في الفترة من عام ١٧٤٤م إلى عام ١٩٧٠م ما هي الشواهد التاريخية لوجود تنظيم إداري ومؤسسات في تلك الحقبة من الزمن غير ما دونه الباحثون من كلمات مسطرة عبرت فقط عن تواجد تلك المؤسسات وبالتالي تواجد نشاط وثائقي نتيجة أعمالها .

ومن خلال هذه الدراسة تم التعريف بدور الوثيقة العربية وأهميتها وأبعادها الحضارية، باعتبارها كانت المحك والناقل الرسمي للحضارات وتفاعلها، كما لاحظنا تأثير الحوار والاحتكاك الحضاري في تطوير وسائل الاتصال والمعرفة الإنسانية ككل وأنه لا يمكن أن نعرف شيئاً عن هذه الحضارات التي مرت بها الإنسانية دون الوثائق .

إن الدور الذي أسهم به العمانيون من خلال تاريخهم في كافة المجالات نجده متناثراً ومتفرقاً في المصادر الأجنبية والمتمثلة في الوثائق الحكومية الرسمية وتقارير البعثات الإرسالية نتمنى أن ينظر بعين الاعتبار إلى تاريخ دولة عريقة قبل أن يمضي بنا الزمن إلى الوراء، حيث يؤكد الكثير من الباحثين في تاريخ عمان أن ندرة المصادر والمراجع والوثائق المكتوبة كانت سببا واضحاً في ندرة كتابات ودراسات العمانيين في تاريخ عمان في العصر الحديث، فما تبقى من

كتب التاريخ العماني ما يزال كثيراً، وإن ظل مبعثراً في شكل وثائق ومخطوطات في مكتبات العالم .

إن فتح باب الاطلاع على مجموعة الوثائق المفردة من قبل الباحثين سيكون له الأثر الكبير في دراسة جادة علمية يقوم بها متخصصون في علم الوثائق وسيفتح آفاقاً رحبة لتناول فترات من التاريخ العماني مدعمة بالحقائق والأصول الثابتة، مما لن يدع مجالاً للباحث من أمثالنا أن يحس بالحرج أثناء تناوله موضوعاً ينقصه الكثير من الملاحظات والمشاهدات المدعمة بالحقائق، وليس مجرد النقل من المؤلفات . فالمطلع على تاريخ السلطنة يجد لها وضعية خاصة دون غيرها من دول الخليج، فعمان من البلدان العربية النادرة التي حافظت على استقلالها منذ القرن الأول الميلادي، بحيث لم تتمكن دولة من الدول الاستعمارية من احتلال عمان بكاملها .

إن عملية تقييم الوثائق ودراستها ستكون في أيدي حفاظ التراث من الأمناء من المتخصصين والباحثين ولن يتأتى ذلك إلا بتوجيه مؤسسات الدولة بتنظيم وتيسير إتاحة الوثائق للدراسة مستقبلاً بالسرعة المناسبة وتشجيع الباحثين والمتخصصين في هذا المجال للانضمام إليها والمساهمة في عملية التدوين من خلال دراسة المحتوى الوثائقي للوثائق التي تحتفظ بها لنكون قد سطرنا ودونا صفحات من تاريخ الدولة قبل فوات الأوان .

**د. شمسة بنت حبيب المسافر**

مركز السلطان قابوس للثقافة الإسلامية

مسقط — سلطنة عمان